المُـرَبِّـي الكَـامِـل

﴿ومضات روحية وإشراقات عرفانية من خلال الصحبة المرضية﴾

نظم وشرح

الدكتور/ محمود مرتضى

قدم له

فضيلة الإمام سيدي

مصطفى البحياوي الحسني المغربي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾

سورة الأحزاب آية 13

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

((كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ))

أخرجه البخاري ومسلم

شكـــر وعــرفان

أتوجه إلى اللّه تعالى بالحمد والثناء قائلاً: سبحانك لانحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فالحمد للّه على كمال فضله وتمام نعمته، مصلياً على رسوله وآل بيته الأطهار.

وأتقدم بالشكر إلى الأزهر جامعاً وجامعةً على ما يقوم به من جهود عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين وغرس للعقيدة الصحيحة في نفوس أبنائه، وقد حظيت بالدراسة فيه، فأسأل اللّه سبحانه أن يجزي القائمين عليه خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى شيوخى الأجلاء الفضلاء، وإلى كل من علمني حرفا، سائلاً اللّه تعالى الرحمة لميتهم والمغفرة له، وسكنى الرضوان في أعلى الجنان، وأسأله تعالى البركة في حيهم، وأن يجزيه أحسن الجزاء، وأن يجزيه الفضل والإحسان.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى شيخى الجلبل ومربي روحي سيدي مصطفى البحياوي ـ حفظه اللّه ـ سائلا المولى جل وعلا أن يرقيه إلى أعلى درجات العرفان، وأن يبارك عمره وسعيه وولده، وأن ينفع به البلاد والعباد، وأن يجمعنا به في الدنيا والآخرة، اللهم آمين يارب العالمين.

كما أتوجه إليه سبحانه أن يرحم والدي وأن يشملهما بعفوه وكرمه، وأن يدخلهما فسيح جناته إنه تعالى قريب مجيب.

مقدمة الكتاب

للعلامة الإمام سيدي مصطفى البحياوي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب والحكمة ليزكي بهما من شاء أن يرقيه إلى مقام الحفظ والعصمة، واثني عليه إذ اناط الفلاح بمن تزكى وتطهر،وذكر اسم ربه فصلى وتنور، وصلاة ربي وسلامه على من زكى الله جملته وتفصيله، ومن ثم جعله مثلا اعلى للزكاة مقسما على ذلك بادوات القسم قلما وقراطيس ودواة فقال (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).

وبين سبحانه ان مهام نبوته الكبرى تزكيته لمن بعث فيهم فقال (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).

وقد عرف المولى نفسه بالباعث وقال بعدها (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) يعني وآخرين منهم يعملون عملهم، او وآخرين منهم يحملون ميراثه، او وآخرين منهم مشمولين بالتربية أيضا لما يلحقوا بهم.

والأمة محتاجة إلى بقاء الوظائف النبوية، فلابد ان تستمر ولا تتوقف، والحمد لله انها مستمرة وإلى ان تقوم الساعة حتى لا يبقى في الأرض من يقول الله.

والمشيخة من آثار النبوة (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ).

والرسالات كانت حيث كان الناس، وهذا من رحمة الله بعباده، وإمكانية الصلاح والتزكي حاصلة، ولا بد من استمرارها، ومن ثم كانت حاجة الأمة إلى المربين وهي حاجتهم إلى النبوة أصلا.

والمربي كلمة من الفعل ربى، وتستعمل في الخير والشر معا، قال تعالى (أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ)، وقال (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ) ذلك

أنها قابلة حيث استعدادها وهي متمحضة للتربية.

والربا جعل الشيئ يربو يعني يتربى حسب استعداده، وفي الحديث «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ» يعني يحتاج إلى تربية خاصة تكمله، فحين يعترض عليه أبواه يهودانه يعني يربيانهتربية على خلاف الفطرة، يعني يجعلان التدين عنده إلى جهة أخرى.

والشيخ الندوي رحمه الله توقف عند حديث « تركتُ فيكم أمرين لن تضلُّوا بعدهما: كتابَ اللّه جلّ وعزّ، وسُنَّةَ نبيِّه صلّى اللّه عليه وسلّمَ» ثم تساءل: وهل هذان في غياب النبي صلى الله عليه وسلم يقومان مقامه؟ ولم يجب، وأحس الرجل بضرورة المشيخة وأثرها.

هذا، وإن كتاب المربي الكامل لناظمه وشارحه - فتح الله عليه وأمده بأسراره وأنواره - فيه خيركثير، فيه خيركثير ، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي والحمد لله رب العالمين.

أملاه راجي عفو مولاه

المصطفى البحياوي الحسني

المقدمة

الحمد لله الذي جعل من خلقه أقمارا ينيرون للناس سبل الهدى، ويذودونهم عن طريق الردى، اصطفاهم واختارهم لحمل أمانته وتبليغ دعوته فقال سبحانه ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [1] وأثنى عليهم في كتابه المكنون فقال ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [2] وأشار إليهم النبي ﷺ في ديوانه الإكسير فقال "كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ" [3]

والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن تبع هداه، وبعد،، فقد امتن الله تعالى علي بنظم أبيات في بيان صفات المربي الكامل، عنونتها بعنوان﴿المربي الكامل﴾، والمربي الكامل: هو الذي يتصدى للتربية والتزكية ممن حقق التزكية في نفسه أولا وزكى غيره ثانيا، إذ لا يكون المزكي مزكيا لغيره مالم يكن متزكيا في نفسه.

ذلك أن المتصدين للتربية الروحية والتزكية النفسية صنوف شتى، فمنهم المبتدئ الذي لم يبرح مكانه، ومنهم

---

(١) سورة الحج آية ٧٥

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٣

(٣) البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى﴿وضرب الله مثلا للذين ءامنوا﴾ رقم ٣٤١١ ، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة باب فضل خديجة رضي الله عنها رقم ٢٤٣١

المدعي وعن طريق الوصول منزوي، ومنهم من نصبه غيره للتربية وارتضاها دون تروية، ومنهم من لم يتم اكتماله ولم ينفك عقاله، ومنهم ومنهم، وهؤلاء ما عنيتهم في ذلكم النظم، وإنما عنيت الصفوة الكُمَّل والنخبة الأُول ممن عز وجودهم وحق خلودهم، وقد شغرت منهم كثير من البلدان وإن وجد بها أهل الفضل والأعيان.

وتأتي صفات المربي الكامل لتوقف السالك على معرفة المربي الكامل من الدعي المائل، والمزبد الجفاء من النافع المعطاء، وصدق الله ﴿مَّا كَانَ اللَّه لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْه حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [١]

وما هذه الأبيات إلَا أنفاساً صَاغها الحَق بتوفيقه، فهيَ ذوب فؤاد وخلاصة وداد، مدادها الإحسان، ومعينها الوجدان، مأذونة من أهل العرفان، ومسندة إلى السادة الأعيان، مملاة من مدد الشكور، ومسطورة من فيض الغفور، الذي إذا شاء أبان عن المستور، وأبداه في أوانه المقدور.

وقد بلغ عدد أبيات القصيدة ستا وأربعين بيتا،[٢] جاءت الثلاثون الأولى منها في بيان صفات المربي الكامل، وما هو عليه من الفضل الكبير الماثل.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٩

(٢) ومن اللطائف أن هذا العدد ورد في حديث النبي ﷺ في صحيح البخاري "الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ" وفيه إشارة إلى عمر النبي قبل البعثة فقد كمل اربعين سنة وستة أشهر ثم نزل عليه الوحي بالرسالة، فكان المربي الكامل عنوانا لحياة النبي قبل بعثه وذلك لحفظه قبل عصمته صلى الله عليه وآله.

ولم أكن بالذي قام بجمع الصفات وراح ينظمها، وإنما جُمعت بعدما نُظمت، وعُدَّت بعدما سطرت، فكان تمام عدها ثلاثاً وستين صفة، فوافقت عمر النبي ﷺ الذي عاشه بين أمته وهو ثلاثا وستين عاما، فرجوت مولاي أن يكون ملمح الموافقة دليل القبول والمصادقة، وجاءت بقيتها الستة عشر بيتاً نصائح مهمة وإشارة مفهمة، ودعاء خصصت به مربي روحي، ومددي وسوحي، زينة الزمان، وعمدة الأعيان، ومعين الإحسان، الجامع الحاوي، والمسند الراوي، سيدي مصطفى البحياوي -حفظ الله حياته وعمر بالذكر والقربات أوقاته- وتبعته بالدعاء للهداة المخلصين والمربين الصادقين، وختمتها بالصلاة على إمام المتقين وقائد الغر المحجلين، راجيا تمام القبول، وحسن الوقوف بين يدي الله والمثول، وأتبعت ذلكم النظم بشرح موجز فقير عن بلاغة المباني وسر المعاني افتقار ناظمه إلى امتلاء الأواني، وهو لا يستوفي معاني الأبيات وأسرارها، فالأحوال لا تقال، ومن الإشارة ما يغني عن العبارة، ولكن نحاول بمدد الله أن نسبك غورها ونبين مشكلها، وربما يفتح الله على القارئ بما يعز على الناقل والقائل، ورب مبلغ أوعى من سامع، والمعنى في بطن الشاعر والسائر:

ولست بمدع أني وأني ... وإن عثر الركاب فذاك مني

والله أرجو أن يوفق إلى تمام شرحها والتحقق بكمال لمحها، وأن ينفع بها ناظمها وقارئها وسامعها وناظرها، (**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**)(١)

(١) سورة يونس آية ٨٨

المجلس الأول: في قراءة النظم كاملا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

١- صـل مـولانـا عـلـى الـهـادي البشيرِ
مـصـطـفـاك الـبـر نـور فـي الـمـسـيـرِ

٢- يـا أخــي هــذي عـلامـات الـمـربـي
إنــهـا الأنــفــاس مــن مـجـلـى الـغـفـور

٣- إن طلبتَ الوصلَ من مولاك حقا
فــادعــه يـنـبـيـك عــن شـيـخ خـبـيـرِ

٤- واطلبِ الشيخَ الحقيقَ بما حباهُ
صـاحـبَ الإحـيـاءِ مـن رمـسِ الـقـبـورِ

٥- مـن دَرى دربَ المسالكِ وابتلاها
فـهـو دلالٌ خـبـيـرٌ بـالـجُـسـورِ

٦- قـد طَـوى عـلـمـاً ومـعـرفـةً تسامتْ
مـجـمـعُ الـتـأويـلِ مـن فـيـضِ الشكورِ

٧- واصـلٌ بـالله يـوصَـلُ مـن أتَـاهُ
لا ادعـــاءً لا ولا جَـمْـعَ الـغُـرورِ

٨- قـد مـضـى بـالله فـي حـال الشهود
مـنـبـئـاً بـالـحـق فـي كـل الأمـور

٩- لا تـرى منـه الـتـفـاتـاً أو حظوظا
لا وربـــــي لا ولا حُـــبَّ الـظُـهــورِ

١٠- راسـخٌ في الـسـيرِ ينهلُ مـن معين
آمـــنٌ فـي الـظـل فـي يـــومِ الـنًّـشــورِ

١١- نـهـجـهُ نـهـجُ الأكــابــرِ والــكــرام
إنــــه الــمـيــثــاقُ ربـــانُ الـعَـبــورِ

١٢- مـن سَـراة الـقـومِ يـعـرِفُـهُ الحقيقُ
إنــهــا الأَســـــرارُ فـــي طـــيِ الـقُـبــورِ

١٣- إنــهُ مــن أهــلُ بــدرٍ فــي المسيرة
صــيِّــبُ الــخــيــراتِ مــن ربٍّ غـفــورِ

١٤- إنــهُ الــبــدرُ الـمُـنـيـر إذا تـبـدَّى
فــي ســمــاءِ الـــروح إكـســيـرُ الـســرورِ

١٥- والـسـمـاءُ بِـنـاؤهُ شُــدّت فكانت
خــالــيــاتِ مـــن ســـحــابٍ أو فُـطُــورِ

١٦- يـوصـلُ الـمـعَـنَى إلـيـكَ بـكـلِ معنى
واعـــظٌ فــي الـســرِ تـــالٍ فــي الـصــدورِ

١٧- تـذكـرُ الـمـولى بـرؤيـتـه الكريمة
تُــلــفَ إيــمــانــاً وإجـــــلالَ الـشـكــورِ

١٨- يـؤنـسُ الـقـلـبَ بـأنـوارِ التجلي
جـــــاذبٌ لـــلـــروحِ داعــيـــةُ الـبـكــورِ

١٩- يـرتـقـي الـمـنـسـوبُ بـالأنـفـاسِ لحظا
قـد طَـوى الـسـبـعـينَ فـي نـهـمِ الجَسُورِ

٢٠- غـيّـبَ الـمـشـهـودَ فـي كـهـف وسار
حـيـثُ شـاءَ اللّه فـي طـيّ الـدهـورِ

٢١- حـالـهُ غـيـبٌ ومـاضـيـه الشَـهـادة
جـاء بـالـمـكـنـونِ فـي مـاضـي العصورِ

٢٢- قـد درى آيَ الـمـثـالِ مـن العوالم
يـسـبـقُ الأحـداثَ لا وقـت الـظـهـورِ

٢٣- صـاحـبُ الـروحِ العلـيـةِ في المجالي
لـم تـغـبْ عَـنـه ولـو بـيـن الـقـبـورِ

٢٤- إنـهُ طـيـبُ الـمـعـانـي إذ تـفـوحُ
إنـهُ مـسـكٌ بـدا بـيـنَ الـعـطـورِ

٢٥- إنـهُ الـكـافـورُ عـيـنٌ لـلـكـرام
فـجَّـروهـا بـالـهُـدى بـيـنَ الـحَـضـورِ

٢٦- زنـجـبـيـلُ الـوصـلِ فـي يـومِ التلاقي
قـد سـقـوهُ الـركـبَ فـاهَـنـأ بـالـسـرورِ

٢٧- مـن بُـطـونِ الـنـحـلِ يـأتـيك الشرابُ
حـبـذا الـمـصـنـوع مـن وحـي الـغـفـورِ

٢٨- سـلـسـبـيـلُ الـمـاء مـن عـيـنِ الهداية
والـشـرابُ الـطَـهـرُ ذا عَـيـنُ الـطَـهـورِ

٢٩- قبـل أن يـرتـدَّ مـنـكَ الـطـرفُ حلَّ
عــرشُ بـلـقـيـسِ بـسـاحـات الـصـدور

٣٠- قـد خـطـبـتَ الـوصـلَ إن تـبـغِ النجاة
مــهــرُهُ بــيــن الـــورى أغـلَــى الـمـهـورِ

٣١- عـجـلِ الـسـيـرَ وسـرْ بـالله واغـدو
لا تــكــن مــيــتــا بـــأجـــداثِ الـقـبـورِ

٣٢- واسقِ روحَكَ من شرابِ الشيخِ وامضِ
فــي ســمــاءِ الــقــربِ مــن غَــيــرِ الـعـثـورِ

٣٣- واغـنـم الآدابَ قـولَ التلمساني
فــي الـسـلـوك الـحـقِ نــورٌ فــوق نــورِ

٣٤- واحـفـظ الـعـهـدَ ولا تـذبُـل وتـأفُـل
أو تـكُ الـعـرجـونَ فـي ذيـلِ الـشـهـورِ

٣٥- والــزم الأورادَ تـغـنـمْ كـلَّ خيرٍ
حــبــذا الــرضــوانُ مـــن ربٍ شــكــورِ

٣٦- إن حـبـاكَ اللهُ فـاهـنـأ يـا أُخـيـالـن
تـــرى فـــي قُـــربـــه نـــارَ الـــحَـــرورِ

٣٧- لا ولـن تخشى الأسـودَ ولا العوادي
لا وربـــي لا ولا شـــرَّ الـــنُــمُـــورِ

٣٨- ربِّ واجــز الـشـيـخَ عـنـا كـلَّ خير
وفِّـــهِ الـــلـــهـــمَّ أضـــعـــافَ الأجـــور

٣٩- واكسُهُ اللهمَّ عافيةً وعفوا
وابسُطِ اللهمَّ نعماءَ السُرور

٤٠- رضِّه اللهم عنا قُرَّ عينَه
أنتَ مولانا وجبارُ الكُسورِ

٤١- تم سقيانا عليه وكن معينا
أنت مولانا على كل الأمورِ

٤٢- عُمَّنا بالفتحِ واشملنا بعطفٍ
نجنا اللهم من كل الشرورِ

٤٣- صل حبال الود منك بلا انقطاع
وافتح اللهم أقفال الصدورِ

٤٤- وارض رب عن الهداة الطاهرين
كلِّ صديقٍ ودلالٍ خبيرِ

٤٥- صل مولانا على خير البرايا
مصدر الخيرات والآل الطهور

٤٦- ما تلا القرآن تال أو دراه
من قديم الدهر أو باقي العصورِ

وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وآله، والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثاني: في الصلاة على النبي ﷺ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

١-صـــل مـولانـا عـلـى الـهـادي الـبـشـيـر
مـصـطـفـاك الـبـر نــور فــي الـمـسـيـرِ

وقد بدأت النظم طالبا من المولى سبحانه أن يصلي على حبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وآله، إذ لا يعرف قدره غير ربه، فهو مصطفى الهداة الأبرار ومربي السادة الأخيار، والمحفوف بجليل الأنوار والأسرار، راجيا أن يكون العمل متقبلا، والمقصود حاصلا، متوسلا إلى الله بأفضل خلقه لديه وأكرمهم عليه، ويرحم الله البوصيري إذ قال -مبينا فضل سيد المرسلين على جميع من سبقه من النبيين:

فإنّه شمس فضل هم كواكبها ... يظهرن أنوارها للنّاس في الظّلم[1]

والصلاة على النبي ﷺ من أجل القربات وأعظم الطاعات، كيف لا وقد شاركه فيها رب الأرض والسماوات فقال في آية الاحتفال ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2]

وقد انفردت الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون سائر القربات بأن جزاءها صلاة الله على العبد مباشرة.

---

(١) البردة للإمام البوصيري البيت رقم ٥٣

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٦

وقد أفصح النبي صلى الله عليه وآله عن ثواب الصلاة عليه فقال **"مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّه عَلَيْه بِهَا عَشْرًا"**[1] فأكرم بصلاة الله على عبده حسنا وفضلا، ونورا وبركة ورحمة.

وقد جعل الله جزاء الحسنة بعشر أمثالها فقال: (**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**)[2] فأبان العدد والصفة، وهو المفهوم من كلمتي عشر أمثالها، فالعدد عشر حسنات، والصفة في المثلية، أما الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله فقد ذكر النبي العدد وأبهم الصفة، لأنه لا يعلم صفة صلاة الله على عبده إلا هو، والإبهام يعني الإعظام، ومهما ضوعفت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فإنها لا تساوي أبدا صلاة الله على المصلى على رسوله ولو مرة واحدة، فكيف إذا كانت عشرا، فاللهم صل عليه وآله دائما ابدا إلى يوم الدين.

٢- يـا أخـي هـذي عـلامـات الـمـربـي إنـهـا الأنـفـاس مـن مـجـلـى الـغـفـور

ويأت النداء في البيت السابق ب(يا) وهي أقوى أدوات النداء، وذلك لعظم مضمونها وأهمية مكنونها، وخصصت المنادَى بالأخ لصدقية النداء، فإن أصدق نداء يُنادي به أهل القبلة بعضهم بعضا هو نداء الأخوة، فإنك لو قلت منادياً: يا حبيبي، فقد لا يكون المنادَى حبيبك حقا، لكنك إذا قلت: يا أخي، صحت

(١) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد رقم ٤٠٨

(٢) سورة الأنعام آية ١٦٠

تلكم المناداة بذلكم الوصف، لاشتراك أهل القبلة فيه، كما أن نداء المماثل في طلب الطريق أدعى إلى التنافس والتصديق.

والاكفتاء بالنداء بيا أخي عن يا أختي لأنها داخلة في المنادى، والنداء يشملهما، والتكاليف تعمهما والسير إلى الله تعالى طريقهما.

ولما كنت أفقر من وصف أهل الوصل والقرب، وأعجز من سلك سبيل الود والحب، ولم أدر أحوال أهل الفضل والنهى، ولم أدر أنوار البدر والسهى، ناديت متبرئا من حولي وقوتي، مستعيذا بالله من قول: إني، ولي، ومعي، وعندي، فقلت: "إنها الأنفاس من مجلى الغفور" إذ أن نظمها وتدبيجها إنما هو أنفاس من المولى سبحانه ومدد من عطائه جل في علاه.

وخصصت اسم الله الغفور استعطافا وطلبا للمغفرة لما أكون وقعت فيه من خطأ خفي أو جلي، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثالث: في التعرف على الخبير بالطريق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٣- إن طلبتَ الوصلَ من مولاك حقا
فادعه ينبيك عن شيخ خبيرِ

والمقصود بالوصل: التحقق بأعلى مقاماتٍ وأحوالِ السائرين، وبلوغ أعلى درجات القرب من رب العالمين .

ولما كان طلب الوصل هو غاية النهاية والقرب، كان لابد للسالك والمريد من أن تكون له نية صادقة في الطلب، وهذا معنى (إن طلبت الوصل من مولاك حقا) أي كنت صادقا في طلبك ونيتك فادعه ينبيك عن شيخ خبير، أي: فاسأله سبحانه يدلك على الشيخ الخبير[1].

والنبأ هو: الخبر الصادق، وهو أخص من الخبر، إذ الخبر يحتمل الصدق والكذب معا، أما النبأ فلا يراد به غير الصدق، فكيف إذا أضيف إلى المولى عز وجل! وإذا تحقق العبد بصدق الالتجاء إلى الله والدعاء في طلب الشيخ الخبير والبحث عنه، فإن الله يحقق المأمول.

---

(١) وقد قرر العارفون أن على المريد الصادق في توجهه وطلبه أن يقبل على الله بصدق وعزيمة وأن يصلي لله ركعتين يسأل الله تعالى بعدهما أن يدله على العارف الكامل والوارث المحمدي الذي يتم الله سقياه على يديه والذي يربيه وياخذ بيديه إلى طريق الله رب العالمين.

الصفة الأولى من صفات المربي الكامل هي (الشيخ الخبير)

والمراد بالشيخ الخبير: الأستاذ المربي، وبهذ النعت يعرف ويوصف، ولا يستنكر البعض على القوم اختيارهم وتسميتهم، فلا مشاحة في الألفاظ مهما اختلفت المصطلحات والمسميات.

والشيخ المربي هو الأستاذ المعلم، إلا أنه أعظم وأفضل وذلك لنسبته إلى التربية والتزكية الذين بهما صلاح الدنيا والآخرة.

والعلم بطريق الآخرة أولى وأجل، وهو فرض عين على جميع عباد الله، وقد ذم الله العلماء الماديين المحجوبين الغافلين عن طريق الآخرة، وأبان أن علمهم والعدم على حد سواء، فقال (**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**)(١)

والناس في دنيا الماديات يحتاجون إلى من يقوم بدور المعلم والأستاذ في شتى مجالات الحياة، وحاجتهم إلى القائم بعلوم الآخرة وما يقرب إليها أولى وأجل.

وقد تلقى الأنبياء عن الأمين جبريل عليه السلام، وتلقت أقوامهم عنهم، وصحب الكليم الخضر وتلقى عنه، وما حرص الكليم على طلب الخضر وقوة همته وعزيمته إلا خير شاهد على ذلك، وقد سجل القرآن ذلك كما في قول الله سبحانه (**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا**

---

(١) سورة الروم الآيات ٦، ٧

أَبْـرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) [١]

وما الأخذ عن الشيخ المربي والبحث عنه إلا طلبا للعلم والمعرفة الذين بهما الوصول إلى حضرة الله، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ **"مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةَ"** [٢]

وإنما احترزت بالشيخ الخبير ليخرج من عداه ممن لم يخبر الطريق ويعرفها، إذ أن الطرق المادية تحتاج إلى دلال وعارف باتجاهاتها وصعوباتها وانحناءاتها وما يتصل بها، فكيف بطريق الله رب العالمين، ويرحم الله من قال:

خليلي إن الأمر ليس بهين
ولابد من سير القلوب إلى البرِ
ولا يعرف البحر الخضم ونوءه
سوى عارف يدري الملاحة في البحرِ
إذا لم يكن للنفس شيخ له هدى
يؤدبها بالروح زاغت عن السيرِ
ولولا اتصال الكهرباء بأصلها
على موجة التيار ما نورها يسري

(١) سورة الكهف أية ٦٠

(٢) سنن أبي داوود كتاب العلم باب الحث على طلب العلم رقم ٣٦٤١

الصفة الثانية من صفات المربي الكامل هي (الحقيق والجدير بالمعرفة والعطاء)

٤ - واطلبِ الشيخَ الحقيقَ بما حباهُ
صاحبَ الإحياءِ من رمسِ القبورِ

والمقصود بذلك أن الشيخ المربي هو محض اختيار من المولى سبحانه ولا دخل للبشر فيه، ويخرج بهذا الاحتراز ما ينصب من قبل العامة، قال الله تعالى (وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)[1]

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وما تقومه البشر تزلزله الأحداث والأيام، والأيام تضع كل إنسان في مكانه ومكانته. والمدعي في طريق القوم مفضوح، نسأل الله السلامة والعافية.

الصفة الثالثة من صفات المربي الكامل (إحياء القلوب بعد مواتها بإذن الله)

وهي المشار إليه في قولنا (صاحب الإحياء من رمس القبور وتلك الصفة من أقوى صفات المربي الكامل، فهو بإذن الله قادر على إحياء القلوب من مواتها بأقواله وأحواله، أما أقواله فلعلمه ومعرفته، وأما أحواله فلصدقه وإخلاصه.

(١) سورة الدخان آية ٣٢

قال صاحب الحكم "لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلّك على الله مقاله"[1]

والمربي الكامل مؤثر في جميع من انتسب إليه، قل أو كثر نصيبا مفروضا، فإذا رأيت المريد وقد تغير حاله وتبدل إلى أفضل مما كان عليه ورعا وخشية وعبادة ومعرفة فخذه دليلا على صحة النسبة، وإذا رأيت المريد ولم يتغير حاله إلى الأحسن فاعلم أن أرضه تحتاج إلى تعهد الشيخ الخبير القادر على إحيائها، وربما كانت أرضه جدباء فنقل إليها تربة صالحة، وسقاها بماء الهداية فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ولا يعني هذا بالضرورة أن كل أتباع المربين أرضا طيبة قابلة للسقيا والاصلاح، فقد كان بجمع النبي منافقون، ولكن المراد أن الغالبية تحيا بإذن الله، وأن المربي الكامل قادر على إحياء موات القلوب بأمر الله وتوفيقه، وأن تأثيره أقوى من تأثير غيره، وقد قيل: حال رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل لرجل، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين

(١) الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري الحكمة ٤٣

المجلس الرابع: الشيخ الخبير بالطرق والمسالك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٥- مـن دَرى دربَ المـسـالك وابـتـلاهـا
فـهـو دلالٌ خـبـيـَرٌ بـالـجُـسـور

وفي البيت السابق إشارة إلى الصفتين الرابعة والخامسة من صفات المربي.

أما الصفة الرابعة فهي (الدراية بالمسالك)

والمسالك جمع مسلك، وجمعت لكثرة السالكين وتنوعها بحسبهم.

والمراد بالدراية بالمسالك: معرفة المسلك الذي يتناسب مع كل مريد.

والمريد: هو السالك طريق الله القاصد وجهه سبحانه، وينسب إلى أهل الصفة ممن قال المولى في حقهم (**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**) [1]

والمريد أخص من طالب العلم، فطالب العلم يطلب العلم فترة ما، وقد تكون له نهاية يتوقف عندها، وحسبه أنه طالب العلم، ولكن المريد صاحب إرادة علية، وليست له نهاية يتوقف عندها، وحسبه أنه مريد وجه الله .

(١) سورة الكهف آية ٢٨

والشيخ المربي كالطبيب يشخص الدواء المناسب لحالة المريض، وما يصلح مع مريض قد لا يصلح مع غيره، وفي ذات الوقت يصف له الجرعات المناسبة التي تناسب حالته والتي لا تسبب له مضاعفات.

والشيخ يقرر على المريد من الأوراد مايراه مناسبا لحالته وطاقته، فلا يدخله في مسلك لا تطيقه الروح ولا تتحمله.

والورد هو مقرر الطريق الذي يصحب المريد في مسيرته، فهو له كالزاد الذي لا يستغني عنه.

والاوراد سبب في التخلية والتحلية، فبالاوراد يتخلى عن ظلمة روحه، وتستمد الروح منه طاقتها فتقوى على جنود النفس والهوى.

وبالاوراد تحصل الواردات، ومن ليس له ورد فليس له من وارد.

والوارد أو الواردات هو ما يكون ثمرة للورد مما يفتح للسالك من الرؤيا الصالحة أو الكشف او الفرقانية أو نحوها.

ولا ينبغي للمريد أن يقصد من الأوراد حصول الوارد، أو أن يصل إلى مقام الكشف، وينبغي أن لا يتوقف عندها، والواردات كالغنيمة التي تؤخذ ولا تقصد، وما الواردات إلا مؤنسات ومبشرات على طريق الحق وليست هي النهاية.

والشيخ المربي يدرك حظوظ النفس لدى المريد السالك فهو يعالج فيه الشهوة الخفية، ولا يمده بما لا يتناسب مع

طاقته وقوة تحمله.

الصفة الخامسة (الخبرة بالجسور والمعابر)

ولا يكفي أن يكون الشيخ المربي عارفا بالطريق فقط فهو يراوح مع مريده بين السير والهرولة، ويرفعه إلى جسور الروح ومعابر النفس، وأعني بجسور الروح: هي ما يخفف من عناء السفر، كأن يسقيه المشروبات المقوية التي تعينه في سفره.

والمراد بمعابر النفس: الزيادة في طاقته بما يقرره عليه من الأوراد الزائدة التي تمثل الطاقة الممدة في طي الطريق.

وربما رأى الشيخ المربي السرعة الزائدة للمريد في الطريق، وشاهد منه القوة الروحية الفائقة، فمضي به عبر جسور السلامة بسرعة مناسبة، وربما رأى تكاسل المريد وفتور همته فأعطاه من الأدوية ما يرفع همته ويقوي عزيمته، وربما وصف له طريقا آخر يتناسب مع سرعته وطاقته.

والمربي الكامل يعالج المريد من الأنوار والأغيار على السواء، فربما أضرت الأنوار بالمريد فكانت فاضحة، وربما ساقته الأغيار إلى الهدى فكانت ناصحة، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الخامس: علوم الشيخ ومعارفه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٦ - قد طَوى علماً ومعرفةً تسامتْ
مجمعُ التأويلِ من فيضِ الشكورِ

وفي البيت السابق إشارة إلى الصفات السادسة والسابعة والثامنة من صفات المربي الكامل.

أما الصفة السادسة فهي (العلم)

ومن المقرر لدى أئمة السلوك أن يكون الشيخ المربي عالما، وإلا فضرره أكبر من نفعه، ومما ينسب إلى السيد عبد القادر الجيلاني قوله:

إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد
وإلا فدجالٌ يقود إلى جهل
عليم بأحكام الشريعة ظاهراً
ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويظهر للورَّادِ بالبشر والقرى
ويخضع للمسكين بالقول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره
عليم بأحكام الحرام من الحل

والصفة السابعة وهي (المعرفة)

والمقصود بالمعرفة: العلوم التي تأتي ثمرة الخشية، وهي أوسع مجالا من العلوم الكسبية والنظرية، وهي المشار إليها في قول الله تعالى حكاية عن الخضر (**آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**) [1] وتلكم الرحمة والعلم يمثلان أخلاق المربي، والعلم إذا لم تصحبه الرحمة والشفقة فلا ثمرة له، وأهل المعرفة يطوون طريق الموعظة والنصيحة فينفذون إلى القلوب من أوسع رحاب ويمضون بالمريد من اقرب طريق.

والصفة الثامنة وهي (التأويل)

وهي المشار إليها في قولنا: (مجمعُ التأويلِ من فيضِ الشكورِ) والمقصود أن المربي حال توالي فيوضات الله عليه عرفانا وكشفا لايرى لنفسه فضلا، بل يرى كل ذلك من ربه، وهو دائم الشكر لمولاه.

والعارفون يرون الإلتفات للسوى ردة عن طريق الحق، وقد قال ابن الفارض رحمه الله في تائيته الغراء:

ولــو خـطـرت لــي فــي ســـواك إرادة

عـلـى خـاطـري سـهـوا قـضـيـت بـردتـي

(١) سورة الكهف آية ٦٥

والمراد بالتأويل هو معرفة الظاهر والباطن على السواء.

والمربي عارف بظاهر المريد وباطنه، وربما أخطأ المريد بلسانه بما لا يوافق طويته فيكون مدركاً لخطأ المريد عارفاً بنيته، وليس ثمة تعارض بين هذا وقول النبي صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه "هلا شققت عن قلبه" فإن الإنكار هنا على سوء الظن، أما حسن الظن بالغير فلا إنكار عليه، كيف وقد قبل النبي صلى الله عليه وآله ثناء أصحابه وتزكيتهم لبعضهم أحياء ومنتقلين.

والمقصود أن العارف مدرك لالتباس الألسنة واجتهاد الأسنة ، وذلك أن المربي الكامل قائم على المعرفة بالله فكيف بمن سواه، وإذا فتح الله للعارف بابا في فضاء مملكته فلا يعزب عليه بعدها تحرير جنباتها وتوصيف خزانتها، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس السادس: الشيخ الواصل الموصول الموصل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٧- واصـــلٌ بـــالله يـوصـــلُ مــن أتـــاهُ
لا ادعـــــاءً لا ولا جَـمْـعَ الـغُـــرورِ

وفي البيت السابق إشارة إلى الصفات التاسعة، والعاشرة، والحادية عشرة، والثانية عشرة من صفات المربي الكامل، وهي على النحو التالي:

الصفة التاسعة: وهي (واصل بالله)

يعني: أن المربي لا بد أن يكون واصلا بالله منقطعا عما سواه، والصلة بالله تتحقق بالقيام بوظائف العبادات والواجبات، واجتناب المنهيات والموبقات، ولا يكون الشيخ قدوة لغيره مالم يكن صالحا في نفسه، إذ به يقتدى وبسلوكه يهتدى.

الصفة العاشرة (يوصل من أتاه)

والمراد منها: أن الشيخ المربي واصل في نفسه موصل لغيره، فليس كل واصل موصل، ويصح العكس، فكل موصل واصل، والأشياخ في هذه المقامات درجات، ولله در الشيخ ابن سبعين حين قال:

قـــل لـمــن طـــاف بـكـاســات الـصـفـا
وسـقـا الـعـشـاق مـمــا قــد نـهـل

مـــا مـــقـــامـــات الـــمـــحـــبـــيـــن ســـواء

لا ولا الـــعـــلـــم كـــــذاك والـــعـــمـــل

لـــيـــس مـــن نـــوه بـــالـــوصـــل لـــه

كـــالـــذي ســـيـــر بـــه حـــتـــى وصـــل

لا ولا الـــواصـــل عـــنـــدي كـــالـــذي

طـــرق الـــبـــاب ولـــلـــدار دخـــل

لا ولا الـــداخـــل عـــنـــدي كـــالـــذي

أجـــلـــســـوه عـــنـــدهـــم فـــي الـــمـــســـتـــهـــل

لا ولا مـــن أجـــلـــســـوه كـــالـــذي

ســـارروه فـــهـــو لـــلـــســـر مـــحـــل

لا ولا مـــن ســـارروه كـــالـــذي

صـــار إيـــاهـــم فـــدع عـــنـــك الـــجـــدل

ذاك شـــيء عـــلـــق الـــقـــلـــب بـــه

مـــا تـــبـــدى بـــعـــضـــه إلا قـــتـــل

الصفة الحادية عشرة (غير مدعي)

والمقصود أن المربي الكامل لا يدعي حالا ليس به ولا مقاما لم يصل إليه، وكيف يصدر منه الادعاء وصاحب الادعاء مقطوع، وأول مراتب السير أن يكون المريد مفتقرا إلى ربه ومتجردا من حوله وقوته، وهاتان الصفتان يتحقق

بهما المريد السالك فكيف بالواصل؟ فكيف بالموصل لغيره؟ والمدعي لم يتخل بعد من آفات نفسه، ولا يكون العبد مزكيا لغيره مالم يكن متزكيا في نفسه، وأحوال القوم لا تصلح للمدعيين.

الصفة الثانية عشرة (لا يجمع الغرور)

والمربي الكامل على قدم رسول الله صل الله عليه وآله، يخطو خطواته ويسير سيره، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله جامعا لدنيا أو راكنا إليها، قال البوصيري رحمه الله مادحا النبي صلى الله عليه وآله:

وراودتـــه الـجـبـال الـشـم مــن ذهــب

عــن نـفـسـه فــأراهــا أيــمــا شـمـم

وأكـــــدت زهـــده فـيـهـا ضـــرورتــه

إن الـضــرورة لا تـعـدو عـلـى العصم

وكل ما سوى الله فهو غرور غار مانع من الارتقاء، فالمال غار، والجاه غار، والسلطان غار، وأهل التربية هم الزهاد، وليس الزاهد الفاقد وإنما الزاهد الواجد، ومن علامة الزاهد أن لا يفرح بالموجود ولا يحزن على المفقود، وأن لا يبالي إن قل ماله أو كثر، ويضع نصب عينه قول النبي صلى الله عليه وآله "**عش في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**" والعائش بحس الغربة لا يستكثر من متاعه لأنه يعلم أنه لا مقام له ولا

إقامة له، والعائش بحس عابر السبيل هو أيضا يخشى على نفسه من حمل ما يثقله فهو غير مستكثر لأنه يعلم أن السفر هنا والمقام هناك.

فحي إلى جنات عدن فإنها
منازلنا الأولى وفيها المخيمُ
ولكننا سبي العدو فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونسلمُ

ولا يعني هذا أن المربي يعيش عالة على غيره، بل ينبغي أن يكون عنده ما يكفيه ويسد حاجته، وقد قال الله **(وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا)** [1] ومعناه خذ حظك وما كان قريبا منك، ولا تجهد نفسك في **طلبه (وَمَا عِنْدَ اللَّه خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ)** [2] وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة القصص آية ٧٧

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٨

المجلس السابع: الشيخ المأذون الشاهد المشاهد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٨ - قـد مضى بـالله في حـال الشهود
مـنـبـئـاً بـالـحـق فـي كـل الأمـــور

وقد أشرت في البيت السابق إلى الصفات الثالثة عشرة والرابعة عشرة، والخامسة عشرة من صفات المربي الكامل

أما الصفة الثالثة عشرة فهي (مضى بالله)

والمقصود أن المربي الكامل مأذون من قبل الحضرة العلية ماض بالله لا بنفسه، لا يتحرك إلا بإشارة، ولا ولا يتكلم إلا بإذن، لسانه محكوم بالقدر، وأفعاله محكومة بالإرادة، وصل إلى مقام **"وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ"**[1] وهو في كل أموره مسلم لله سبحانه، ولله در صاحب العينية حيث يقول:

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى
ومـالـي عـن حـكـم الـحـبـيـب تـنـازع

(١) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب التواضع رقم ٦٥٠٢

أرانـــي كـــالآلات وهـــو مـحـركـي
أنـــا قـلـم والاقـتـــدار أصـــابـع
ولـســت بـجـبـري ولـكـن مـشـاهـد
فـعـال مـريـد مـالـه مـن يـدافـع

والصفة الرابعة عشرة هي (في حال شهود دائم)

والمقصود أن المربي الكامل مستغرق غارف من بحار الشهود والعرفان، فأنفاسه معارج ترقي، وخطراته مدارج توقي والمقصود بالشهود: شهود عالم الملك والملكوت، فإن سار في طريقه خاطب الكائنات في سرها، وخاطبته المخلوقات في خلده، وحملته الأرض حملا محفوفا بالرعاية مشمولا بالولاية، وتنفست أمامه رياحين الورود، وأشرقت عليه شموس المحبة، وأظلته سحائب المعرفة، وتلألا في وجهه قمر الهداية، ينظر في كل شيئ فيرى فيه مولاه، على حد قول القائل: أراه في كلٍ وفي كل أراه.

ومقام الشهود: هو ما عبر عنه بعضهم بمقام الجمع، ومعناه: شهود الحق بلا خلق، فهو مع الحق بغير خلق، ومع الخلق بغير نفس، ومع نفسه بالمراقبة.

والصفة الخامسة عشرة هي (منبئا بالحق في كل الأمور)

والمراد منه: أن الشيخ المربي لسانه وراء قلبه، فهو ينطق بالحكمة، أخباره حقائق، وأسراره دقائق، إن تكلم في معضلة

أبـان غموضها، وإن تناول مشكلة أزال عجمتها، تترنح أمامه الشبهة افتضاحا، وتتبختر به الحجة اتضاحا، لا يشكل عليه علم الظاهر والسرائر، الكل عنده شهادة، ومنطقه الحسنى وزيـادة، يعالج بمنطقه الحس والنفس، وينفذ ببصيرته إلى العرش، ولا تختلط عليه العلوم والمعارف، يقطف ثمارها ويجني أكمامها ويمضي تحت ظِلالها متفيئا وارفا، ولا يتنافى هذا مع قول الله سبحانه (**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**)[1]

ففي الآيات توجيهات حسنة منها:

أن سياق الآية جاء في الحديث عن الروح، وأن الخطاب جاء مقصودا به بني إسرائيل الذين سألوا عنها، وأن علوم الخلق جميعا ليست هي كل علم الله، بل إنها أمام علم الله لا شيئ.

وعلوم العارفين هي أيضا ليست من كسبهم، وإنما هي من منة الله عليهم، ولذلك عبر بقوله (**وما أوتيتم**) فالكل مفتقر إليه، والكل مستجدٍ جوده ونواله، جمعنا الله وإياكم بأهل معرفته ومحبته، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة الإسراء آية ٨٥

المجلس الثامن: الشيخ لا يلتفت إلى الحظوظ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه،

قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٩ - لا تـرى منـه الـتـفـاتـاً أو حظوظا

لا وربـــــي لا ولا حُـــــبَّ الـظُـهــورِ

وجاءت الإشارة في البيت السابق إلى الصفات السادسة عشرة، والسابعة عشرة، والثامنة عشرة من صفات المربي الكامل، وهي كالآتي:

الصفة السادسة عشرة هي (عدم التفاته)

والمربي الكامل لا يلتفت إلى عمله، وكذلك السالك ماض في سيره، والملتفت لا يصل، والالتفات هو: رؤية الأعمال والتباهي بحسنها، والتلذذ والنشوة عند ذكرها، وهذا عيب في السير إلى الله تعالى، قال صاحب الحكم: "قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم، أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها، وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها"[1].

وفي كلتا الحالتين - في السير والوصل- يعيب القوم على الالتفات وشهود الأعمال، والملتفت مثله مثل من يصلي في الحرم ويعد صلاته ويضربها ضربا حسابيا في المائة ألف صلاة، وهو يعتد بذلك ويعتمد عليه،

(١) الحكم العطائية الحكمة ٥٩

ولما سمعت أم المؤمنين عائشة قول الله تعالى (**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**) [١] **قالت: يارسول الله: هم الذين يزنون ويعصون ربهم؟ قال: لا يا ابنة الصديق، وإنما هم الذين يصلون ويتصدقون ويخافون أن لا تقبل أعمالهم**" [٢]

ولا يذم العمل في طلبه، وإنما يذم بالاعتداد به والاتكال عليه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم "**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ، قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: "لا، وَلا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّه بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**" [٣]

الصفة السابعة عشرة (لا حظوظ له)

والمقصود بالحظوظ هنا بنوعيها (الحظوظ المادية والحظوظ المعنوية) والحظوظ المادية هي: ما يجنيه بعض الشيوخ من ذوي السلطان والجاه من تحقيق مكاسب دنيوية ومصالح حياتية، وما يجنوه من الأموال وغيرها مما يكون في صورة هدية أومعونة أو نحوها مما لا يقصد به وجه الله، والاستكثار من متاع الدنيا ليس من علامات أهل القرب والوصول، بل إن أكثر أرباب الطريق هم الفقراء والزهاد.

وقد يتوهم بعض الأدعياء والمنتسبين بأن هذا حق

(١) سورة المؤمنون آية ٦٠

(٢) سنن الترمذي أبواب تفسير القران عن رسول الله باب ومن سورة المؤمنين رقم ٣١٧٥

(٣) صحيح البخاري كتاب المرض باب تمني المريض الموت رقم ٥٦٧٣ وصحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب لن يدخل احد الجنة بعمله رقم ٢٨١٦

مشروع ومكتسب بحجة تفرغه للمشيخة وكأنه يرى أن المشيخة صارت عملا يتأكل به فلا يرى حرجا في تلكم الحظوظ المادية والمعنوية وهذا مما لا سند له في طريق القوم فإن الله ربما ابتلاه بها ليعلم إياه يطيع أم إياها

ومن هنا كان العارفون الكمل يمتهنون أعمالا يكتسبون منها ويعيشون عليها حتى صارت تلكم المهن علامات عليهم وألقابا لهم كمثل سيدي علي الخواص وسيدي عبد العزيز الدباغ وغيرهما، لعلمهم أن الشيخ إذا أكل من مشيخته فقد أكل ثلثي أجره كالمجاهد تماما.[1]

(1) ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم".

قال الإمام النووي معلقاً على هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم (وأما معنى الحديث فالصواب الذي لا يجوز غيره أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم أو سلم ولم يغنم، وأن الغنيمة هي في مقابلة جزء من أجر غزوهم، فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو، وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر، وهذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة كقوله: (منا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها) أي: يجتنيها، فهذا الذي ذكرنا هو الصواب، وهو ظاهر الحديث، ولم يأت حديث صريح صحيح يخالف هذا، فتعين حمله على ما ذكرنا، وقال ابن رجب رحمه الله كما في جامع العلوم والحكم: (فإن خالط نيته الجهاد مثل نية غير الرياء مثل أخذه أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة، نقص بذلك أجر جهاده ولم يبطل بالكلية.. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم، فإن لم يغنموا شيئا تم لهم أجرهم). كما ذكر ابن حجر نكتة لطيفة في معنى الحديث فقال كما في الفتح روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا: (ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون

وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرعى الغنم وهو القائل **"ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم"**[1] وقد كان لقمان نجارا وإدريس خياطا وداوود حدادا عليهم صلوات الله.

والحظوظ المعنوية هي: ما يعود عليهم وما يتلذذون به من هيبة وثناء من الخلق عليهم، وحسن صيت وشهرة، فإنها من الشهوة الخفية ومن حظوظ النفس الدنية، وصاحب تلك الحظوظ لم تكتمل معرفته بعد.

الصفة الثامنة عشرة (لا يحب الظهور)

والمربي الكامل لا يرغب في أن يشار إليه بالبنان، بل يريد أن ينصهر في بوتقة أمته، فهو وسط الزحام والكثرة يكتفي من البيت بظاهره، ومن الحجر بالاشارة إليه، فلا يتقدم الصفوف والمجالس إلا أن يقدمه غيره، ويرى نفسه دون المستوى، ولايرغب في تسلط الأضواء عليه فهو في زي الخامل، وفي الحقيقة الصدوق العامل، لعلمه بأن الظهور يقصم الظهور،

الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، فإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم)، وذكر بعض المتأخرين للتعبير بثلثي الأجر في حديث عبد الله بن عمرو حكمة لطيفة بالغة، وذلك أن الله أعد للمجاهدين ثلاث كرامات، دنيويتان وأخروية، فالدنيويتان السلامة والغنيمة، والأخروية دخول الجنة، فإذا رجع سالما غانما فقد حصل له ثلثا ما أعد الله له، وبقي له ثلث، وإن رجع بغير غنيمة، عوَّضه الله عن ذلك، ثواباً في مقابلة ما فاته، وكأن معنى الحديث، أنه يقال للمجاهد، إذا فات عليك شيء من أمر الدنيا عوضتك عنه ثوابا، وأما الثواب المختص بالجهاد فهو حاصل للفريقين معًا). والله أعلم.

(١) صحيح البخاري كتاب الإجارة باب رعي الغنم على قراريط رقم٢٢٦٢

ويكرر: "متى ظهرت اختفيت، ومتى اختفيت ظهرت" لأن الظهور دلالة الخفاء، والخفاء بريد الظهور.

قال صاحب الحكم "أدفن وجودك في أرض الخمول؟ فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه"[1] فإن الخمول مما يعين على الإخلاص بخلاف حب الظهور فإنه من جملة القواطع القاصمة للظهور.

وهذا شائع في الزرع والنبات المادي، فما كان ظاهرا أزالته المياة والهواء، وما دفن وتعهد بالسقي كان الخير والنماء، وكذلك في زرع الأعمال ونتاجها، فاللهم تقبلنا واسلك بنا إلى مرضاتك يارب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

(١) الحكم العطائية الحكمة رقم ١١

المجلس التاسع: الشيخ الممكن الأمين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه،

قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

١٠ - راسخٌ في السيرِ ينهلُ من معين
آمنٌ في الظَلِ في يومِ النُشورِ

جاءت الإشارة في البيت السابق إلى الصفات: التاسعة عشرة، والعشرين والحادية والعشرين من صفات المربي الكامل، وهي كالتالي:

الصفة التاسعة عشرة (الرسوخ في السير)

والرسوخ في السير مبني على الرسوخ في العلم والمعرفة، أما الرسوخ في العلم فبظاهر الطريق، وأما الرسوخ في المعرفة فبأسرار التحقيق، ومنهما يولد الرسوخ في السير، ذلك أن المربي الكامل غير متعجل ولا منفعل، وإن شئت قرب المعنى فخذ مثالا: حال النبي صلى الله عليه وآله يوم إسرائه ومعراجه، كيف كان ثباته مع الأشياء الغريبة والعجيبة؟ وكيف كان هادئا في رؤيتها وكأنه رآها من قبل، صلوات ربي عليه وسلامه.

والمربي الكامل غير منفعل في سيره انفعال من يفرحه المادح ويزعجه القادح، وتبطره النعمة وتقنطه الشدة، وكان يتألم بألم نفسه وغيره ويرى فيهما سر القهر، ويفرح بالمنة

عليه وعلى غيره ويرى فيها الاختبار، ويتعامل مع الأشياء قائلا: سبحان من جعل بره في قهره وقهره في بره، والقهر منه برٌ لواعي سره، ويتعامل مع الكون جميعه تعامل من يرى الله فاعلا في ملكه مريدا مختارا، ويكرر:

إذا ما رأيت الله في الكلِّ فاعلا
شَهِدتَ جميعَ الكائنات ملاحاً
و إن ما ترَ إلَّا مظاهرَ صُنعه
حُجِبتَ فَصَيرتَ الحِسانَ قباحاً

الصفة العشرون (النهول من المعينَ)

النهل أو النهول هو الأخذ بكثرة، والمعين هو: الشراب الرائق.

والمربي الكامل لابد وأن يتحقق بتلكم الصفة، وإلا ما استطاع ري أحبابه ومريديه، لأن فاقد الشيئ لا يعطيه، والظمآن إن لم يجد ماءً انصرف وولى.

ومريد طريق الآخرة مختلف في نوعه ونيته وتحمله وطاقته، والمربي ساقي القوم شراب الصفاء، وهو ممسك بالكم متصرف بالكيف، يقرأ الحاجة في وجه مريده، وينظرها في روحه، فيمسك تارة ويرسل أخرى، ويشحن المريد بلطائف المساررة والمعاملة، فيخرج من عنده خروج من رأى القيامة رأي العين، وشاهد الحق بلا أين ولا بين، ومثاله مثال أصحاب رسول الله

صلى اللّه عليه وآله وسلم، وكيف حالهم ومنسوب إيمانهم وهم جلوس بين يديه، وكيف هم إذا خرجوا من عنده حتى يعودوا إليه[1]

والشيخ المربي سائر على قدم رسول اللّه، فتراه في العلم والمعرفة معينا لا يجف ماؤه، وفي المساررة والصفاء نهرا لا يظمأ وارده.

الصفة الحادية والعشرون (آمن في ظل اللّه)

والمربي آمن في الدارين، أما أمان الآخرة فهو في ظل اللّه، لأنه ممن سبقت لهم من اللّه الحسنى، وهؤلاء (**لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**)[2] وأما أمان الدنيا: فهو متحقق لأمرين، **الأول:** مداومة الذكر، وبالذكر تحصل الطمأنينة التي هي باعث الأمان، قال اللّه تعالى في وصفهم (**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**)[3]

والثاني: وصولهم إلى مقام المشاهدة وهو المشار إليه في حديث حارثة يوم قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا،**

(١) إشارة إلى حديث حنظلة بن الربيع الأسيدي الكاتب أحد كتاب رسول اللّه ﷺ قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان اللّه ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول اللّه ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول اللّه ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا، قال أبو بكر :فواللّه إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول اللّه ﷺ، فقلت: نافق حنظلة يا رسول اللّه فقال رسول اللّه ﷺ :وما ذاك؟ قلت: يا رسول اللّه، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا. فقال رسول اللّه ﷺ :والذي نفسي بيده، لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، لكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات انظر صحيح مسلم كتاب التوبة باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا رقم ٢٧٥٠

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٣

(٣) سورة الرعد آية ٢٨

قَـالَ: انْظُـرْ مَا تَقُولُ فَـإِنَّ لكُلِّ قَـوْلٍ حَقِيقَةً، قَـالَ: يَـا رَسُـولَ اللَّه، عَـزَفَـتْ نَفْسِي عَـنِ الـدُّنْيَـا، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَـأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي بِعَرْشِ رَبِّي بَـارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُـرُ إِلَـى أَهْـلِ الْجَنَّـةِ يَـتَـزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّـي أَنْظُرُ إِلَـى أَهْـلِ النَّـارِ يَتَعَاوَوْنَ فِيهَا، قَـالَ: عرفت فَالْزَم"[1]

ولا تأخذك العجلة بعيدا فتقارن بين هذا وبين ما روي عن الصحابة وشدة خوفهم وقول الله تعالى في الحديث القدسي الجليل: **"لَا أجمع على عَبدي خوفين وَلَا أجمع لَـهُ أمنين فَمن خافني فِي الدُّنْيَا أمنته فِي الْآخِـرَة وَمن أمنني فِي الدُّنْيَا أخفته فِي الْآخِرَة"**[2] فإن الأمن المذموم والمنهي عنه هو: الأمـن المؤدي إلـى التفريط في جنب الله، لا الأمـن الـذي يصحبه العمل وحسن الظن بالله.

والخوف المطلوب هو: التحقق بمقام (**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّـةَ هِيَ الْمَأْوَى**)[3]،

وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي بابٌ فِي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَكَمَالِهِ رقم ١٨٩

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول أنظر شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور جلال الدين السيوطي ١/ ٣١

(٣) سورة النازعات آية ٤٠

المجلس العاشر: المنهج الرباني لا الشيطاني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه،

قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

١١ - نـهجـهُ نـهـجُ الأكـابــر والـكــرام
إنـــــه الـمـيـــثــاقُ ربـــــانُ الـعــبــورِ

جاءت الإشارة في البيت السابق إلى الصفات: الثانية والعشرين، والثالثة والعشرين، والرابعة والعشرين، وهي كالتالي:

الصفة الثانية والعشرون: (نهجه نهج الأكابر والكرام)

والمقصود بالنهج: الطريقة التي يسلكها المربي الكامل في تزكية نفسه وغيره.

والمربي الكامل يأخذ بمنهجين هما: محاسبة النفس، وتذكر الآخرة، وهذان هما الجناحان اللذان يطير بهما السالك إلى رحاب رب العالمين، فأما محاسبة النفس فهي المنهج الذي أخذ به الصحابة في التزكية، ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا".

وقد أقسم الله بأطول قسم في القرآن على فلاح المتزكي وخيبة المتدسي فقال (**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**)[١]

(١) سورة الشمس الآيات من ١ إلى ١٠

وأمـا تذكر الآخـرة فهو: باعث الخوف والـرجاء في النفس، لأن تذكر دار الجزاء ووضعها نصب العيون من أنجع الأدوية وأنفـع الأشفية، وقـد أثنـى الله على بعض أنبيـاءه بها فقال **(وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَة ذِكْرَى الدَّار)** [1].

وطريقَ أَهل التربية والتَزكيَة واحداً، لا يحيدون عنه وإن اختلفت المداخل والأسباب، وذلك لطبيعة النفس البشرية التي لا تتغير بحسب الزمان والمكان، وفيها الخير والشر كامن، وأما أمراض الظاهر فقد يتوصل فيها إلى أدوية جديدة شافية، بخلاف أمراض الباطن فما توصل أحد ـ فيها ـ إلى دواء أنفع مما ذكر الماضون، ولذلك كان منهج المربي الكامل هو منهج الأكابر من رسل الله والكرام من عباد الله.

ومـن لطائف البيت وإشـارتـه: أن يكـون الـمـراد مـن كلمة (الميثاق) سند الطريق، أو العهد الذي يقطعه الشيخ المربي على المريد، وتكون جملة (ربان العبور) وصفا للميثاق وليس صفة من صفات المربي، فيكون الميثاق سبب النجاة والسلامة، وتقرأ الجملة كاملة (إنه الميثاق ربان العبور)

الصفة الثالثة والعشرون (هو الميثاق)

والمقصود أن المربي الكامل صار في ذاته عقدا وموثقا لا يتبدل ولا يتغير، وما زاده القِدمُ إلا رسوخ قَدم، وقد وصل إلى

(١) سورة ص الآية ٤٥ ، ٤٦

مقام الحفظ وهو دون العصمة، فالعصمة للأنبياء والحفظ للأولياء، وكل نفس يمر عليه أرقى مما هو دونه، وحال الكُمَّل يزيد وينقص في عطاء الترقي لا في أصل الإيمان، وإيمان العارف من جنس إيمان الأنبياء والفرق في الترقي، أما الأنبياء فلا يقل عطاء يومهم عن أمسهم، والعارف يراوح بين الزيادة والنقصان، ذلك أن الحفظ قابل للسلب، خلافا للعصمة فإنها محض الوهب.

الصفة الرابعة والعشرون (ربان العبور)

والمربي الكامل هو قائد السفينة المبحرة في بحر التكاليف، فهي سفينة نوح التي تجري بأمر الله، والسلامة محققة لكل من فيها بشرط الالتزام بقانونها وإرشاداتها. ووصف العارف بربان العبور أبلغ من وصفه بربان السفينة، فإن السفينة تحتمل النجاة والهلاك إلا إذا أضيفت، كأن يقال سفينة نوح.

وأما وصف المربي بأنه ربان العبور: فأفاد معنى زائدا وهو النجاة، وهذا حق، ويكفي الراكب معه فضلاً أنه في ترق دائم، وأنه في سيره مهاجر إلى الله ورسوله، وقد خرج من بيته وتركه التماسا للنجاة، فإن توفاه الله فقد وقع أجره على الله، وإن بقي بين عباد الله صار من أهل الله، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الحادي عشر: قلوب الأحرار قبور الأسرار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

١٢ - مـن سَـراة الـقـوم يـعـرِفُـهُ الحقيقُ
إنـــهـــا الأَســـــــرارُ فـــي طـــي الـــقُـــبـــورِ

وجاءت الإشارة في البيت السابق إلى الصفَات: الخامسة والعشرين، والسادسة والعشرين، والسابعة والعشرين من صفات المربي الكامل وهي كالآتي:

أما الصفة الخامسة والعشرون: فهي (من سراة القوم)

وسراة الشيئ: أعلاه وأفضله، ويرحم الله الأفوه الأودي حيث قال:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا بأعمدة
ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمع أوتاد وأعمدة
وساكن أدركوا الأمر الذي كادوا
تهدى الأمور بأهل الرأي مَا صلحت
فإن تولت فبالأشرار تنقاد[1]

(١) أنظر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ص ١/ ٢٧٠

والمقصود: أن المربي الكامل قد طوى المقامات جميعها، وهو في زي أهل زمانه ظاهرا، وفي معرفة وعلوم الأولين باطنا، فهو القريب الغريب، قريب باخلاقه غريب بأحواله، يصدق فيه قول الشاطبي رحمه الله:

هُوَ المُجْتَبَى يَغْدُو عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ
قَرِيباً غَرِيباً مُسْتَمَالاً مُؤَمَّلَا
يَعُدُّ جَمِيعَ النَّاسِ مَوْلىً لأَنَّهُمْ
عَلَى مَا قَضَاهُ اللهُ يُجْرُونَ أَفْعُلَا
يَرَى نَفْسَهُ بِالذَّمِّ أَوْلَى لأَنَّهَا
عَلَى المَجْدِ لَمْ تَلْعقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْأَلَا[1]

الصفة السادسة والعشرون (يعرفه الحقيق)

والمراد بالحقيق: الجدير بمعرفته، وما كل من صحب الولي عرفه، وربما لزمه المريد قرناً من الزمان وما انكشفت عن وجه ليلى البراقع.

وليس المراد بالمعرفة معرفة صلاحه وظاهره، فذلك لا يخفى للعيان، وإنما المقصود معرفة ما هو عليه من المقام، فذلك عزيز إلا لمن استطاعوا الوصول بين الزحام.

والحقيق بالمعرفة: هو من كان للسر كاتما، ولرؤية

(١) حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للقاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: ٥٩٠هـ) الأبيات من٨٧ إلى ٨٩

الأسرار والأحوال متحملا، فربما انجذب المريد بحال شيخه فاستغرق في جماله وجلاله، وتلذذ بلذيذ خطابه، ونسي أمور حياته ومعاشه، ومن هنا كان دور المربي الكامل في تعامله مع المريدين كل بحسبه، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يصرف أصحابه بحاله ويظهر لهم في إطار بشريته، لما برح أحد مجلسه، وما فارقوا أعراسه وأنفاسه، ولذلك جاء القرآن يعلمهم أدب الخطاب والمجالسة (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**)[1]

ومجلس الولي العارف ساحة أنوار تغشتها أسرار، ينسى المريد فيها حياته ومعاشه، والمربي الكامل لا يتجلى لأتباعه بما هو عليه من أنوار ومقام، وربما تزيي بزي العامة حتى يصرف الناس إلى معاشهم، فتنتظم أمور حياتهم، ولذلك كان الحقيق بمعرفة الشيخ هو الذي يطلعه ربه عليه، ويبصر أنوار المقام الذي فيه القلب مستهام، وربما تجلى الشيخ لبعض مريديه لحكمة يعلمها فيه.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٣

الصفة السابعة والعشرون (قلبه قبر الأسرار)

ومن حكم القوم: قلوب الأحرار قبور الأسرار، وليس المراد بالأسرار هنا ما يسر به البعض للبعض، وإنما هي أسرار المعرفة، والأسرار ثلاثة:

أولها: سر العارف نفسه وما هو عليه من مقامات القرب .

والمربي الكامل يكتم أسرار نفسه فلا يبوح بها لأحد، ولسان حاله يقول:

السـر عنـدي فـي بيـت لـه غلـق
ضلـت مفاتيحـه والبـاب مختـوم[1]

وثانيها: أسرار العباد وماهم عليه من القرب والبعد، فيكتمها ولسان حاله يقول:

لا يكتـم السـر إلا مـن لـه شـرف
والسـر عنـد كـرام النـاس مكتـوم[2]

قال صاحب الحكم "من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه وسبباً لجر الوبال إليه"[3]

وثالثها: معرفة أسرار الوجود وكتمانها، والمراد بأسرار الوجود: ما أودعه الله في الكون مما هو مرأي وغير مرأي،

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء مرجع سابق ص ١٩١

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة

(٣) الحكم العطائية الحكمة ١٥٨

والمربي الكامل يتفاعل مع الوجود تفاعل من فهم لغته وأزال عجمته.

وقد سمع الصحابة تسبيح الحصى في يد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، وسمعوا أنين الجذع له صلى الله عليه وآله وسلم، ويبقى الأمر خفيا في معرفة حقيقة الصوت وقوته، وكلها من الأسرار الخفية، ولا يفهم من هذا أن العارف مشغول بالوجود وما فيه من عجماوات ونباتات وجمادات وغيرها.

ولكن المقصود: أن المربي الكامل يعرف من أسرار تلكم الموجودات مالا يعرفه غيره، ونكتف عند هذا الحد، فإن من أسرار الأسرار ما هو من الأسرار ولا ينبغي البوح به، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثاني عشر: الشيخ البدري في اللطائف والمعارف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

١٣-إنــــهُ مـن أهــلُ بــدرِ فـي المسيرة
صــيِّــبُ الــخـيــراتِ مــن ربٍّ غــفـورِ

وفي البيت السابق إشارة إلى الصفتين: الثامنة والعاشرين، والتاسعة والعشرين من صفات المربي الكامل.

الصفة الثامنة والعشرون (المربي من أهل بدر)

والمقصود: أن المربي الكامل إنسان مصطفى ومختار من الأزل، ويرمز للأوائل والكبار بأهل بدر نسبة إلى السبق والرضا، ولله در السلطان حين قال:

لـيـهـنَ ركــبٌ ســروا لـيـلاً وأنــتَ بهمْ
بـسـيـرهـمْ فــي صـبـاحِ مـنـكَ منبلجِ
فـليَـصـنـعِ الـرّكـبُ مـا شـاؤوا بأنْفُسهم
هُـمْ أهـلُ بـدرٍ فـلا يَـخـشـونَ مـن حَـرجِ[1]

ويخرج بكونهم بدريين: الوارثون لها دون استحقاق ومعرفة، ومما شاع ذكره في كثير من بلدان المسلمين أن كثيرا من أبناء الشيوخ تصدوا للتزكية وهم ليسوا أهلا لها.

---

(١) ديوان ابن الفارض قصيدة ما بين معترك الأحداق والمهج ص ١٦

والمربي الكامل جامع لصفات علية، وقائم لحكمة مرضية، وحائز لصفات سنية، فلا يختار للخلافة من ليس أهلا لها، ولا يزعجه أن يكون المربي من أبنائه في الصلب أو أبنائه في القرب، قال الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم داعيا مولاه أن يبعث للعشرة من يتمم مسيرتها:

وبـــاركـــهـــم بـــداعـــيـــة رشـــيـــد
عـــســـاه أن يـــتـــمـــم مـــا بـــديـــتُ. (١)

وإذا رأيت من يقرب أبناءه ليصطفيهم لهذا الأمر فاعلم أنه صاحب هوى وأن دعوته مخلوطة.

وقد يوهب العارف بابن وارث لحاله ومقامه ولا حرج على فضل الله، وليس هذا بلازم، وإذا حصل فلن يكون الشيخ بحاجة إلى تزكية ولده، فإن الوارث الرباني كالشمس في ضحاها:

وكـــالـــبـــدر لا تـــخـــفـــى أشـــعـــتـــه
إلا عـــلـــى أكـــمـــه لا يـــعـــرف الـــقـــمـــرا

وأما الطرق التنظيمية -وما أكثرها- فقد يختار أو ينتخب لها من يقوم بإدارتها، وينظم أمرها من بين أبناء الشيخ أو من غيرهم، وليس هذا بعيب مالم يوجد صاحب الوراثة والفضل، فانضواء الناس تحت راية واحدة خير من تركهم دون قيادة.

---

(١) من قصيدة حديث الرحيل للشيخ محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية

والمربي الكامل يشبه أهل بدر من جهات:

أولا : من حيث اصطفائه واجتبائه.

ثانيا: من حيث أسبقيته وصدقيته.

ثالثا: من حيث عبادته وأخلاقه،

رابعا: من حيث جهاده وابتلائه.

خامسا: من حيث تزكيته والترضي عليه، والمعول عليهم في ذلك هم أهل العلم والفضل وليس العامة، فإن تزكية العامة تنبع من ميل وعاطفة وربما لعادة موروثة، وأما تزكية الخاصة فإنها تنبع من معرفة وحصافة.

الصفة التاسعة والعشرون (المربي صيب الخيرات)

والصيب: هو المطر الغزير، والخيرات: هي البركات والمنافع، وهي صيغة مبالغة في الخير، والمربي الكامل صيب الخيرات بنوعيها: الحسي والمعنوي.

أما الحسي: فواضح وجلي، وأما المعنوي: فما يعود على المريد من دعوات شيخه له، وما يمده به في سره، وغير ذلك مما هو معروف لدى القوم .

وقد يبهم على السالك حال شيخه فيرى القبض شرا والبسط خيرا، والحق أن العارف في قبضه وبسطه على خير وهدى، قال صاحب الحكم: "العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا "[1]

---

(١) الحكم العطائية الحكمة ٨١

وقال ابن عجيبة رحمه الله "وإنما كان العارف إذا أنبسط أخوف منه إذا انقبض: لأن القبض من شأنه أن يقبض النفس عن حظوظها، ومن شأن البسط أن يبسط النفس وينشطها "[1]

والمربي الكامل كله خير، وهو كغيث السماء أينما وقع نفع، وليس هناك أنفع لحياة القلوب منه، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

[1] () ايقاظ الهمم بشرح الحكم لابن عجيبة ص ١٧٩

المجلس الثالث عشر: روح الحياة وإكسير السرور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

١٤- إنــــهُ الــبــدرُ الـمُـنـيـر إذا تـبـدَّى
فــي سـمـاءِ الـــروحِ إكـسـيـرُ الـسـرورِ

وتأتي الإشارة في البيت السابق إلى الصفتين: الثلاثين، والحادية والثلاثين من صفات المربي الكامل، وهي كالآتي:

الصفة الثلاثون: (البدر المنير)

والبدر المنير هو القمر في اكتماله وتألقه وسناه، والمربي الكامل يشبه البدر من جهات :

أولا: من حيث تمامه وكماله، فالبدر في حال اكتماله أكثر ضوءً وأبهى منظرا، وكذلك المربي الكامل فهو أجمل منظرا وأجل مخبرا، وكما أن النجوم بقربه تذوب فلا ترى، كذلك فإن الشيخ المربى تأفل إلى جواره النجوم حتى تختفي تماما.

ثانيا: من حيث مروره بمراحل إلى أن يستوى كاملا، وقد قال المولى سبحانه. **(وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)**[1] وكذلك الشيخ المربي يمر بمراحل عدة إلى أن يكتمل، غير أنه لا يعود كالعرجون القديم، وذلك من رحمة الله به وبغيره، وهو دائما في ترقي وانطلاق.

---

(١) سورة يس آية ٣٩

ثالثا : من حيث علوه وسناه، والمربي كذلك عال في مقامه دان بقربه وفضائه.

رابعا : من حيث عموم نوره في الآفاق، وذلك أن العلو يعطي رؤية شاملة، كالذي يرى الأشياء وهو بالطائرة، فهو مشاهد لما لا يراه دونه ممن هو على الأرض، وكذلك المربي تبلغ أنواره وأسراره ومعرفته وعلومه الآفاق، فيستفيد من أنواره وأسراره القاصي والداني كل بحسبه.

خامسا : من حيث سبوحه في الكون، وكل المخلوقات من شمس وقمر متحركة سابحة في الكون، كل في مسيره ومجرته وحسب سرعته ودورته، (**وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**) [١].

والمربي كذلك يسبح في فضاء المعرفة ويسير في ربوع المعمورة ويدور في سماء القرب (**وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**)

الصفة الحادية والثلاثون (إكسير السرور)

وإكسير الحياة شرابها، وإكسير الذهب نقاؤه، وإكسير الفضة صفاؤها، ويتغير معنى الكلمة حسب ما اضيفت إليه.

وإكسير السرور: باعثه ومادته، والمقصود أن المربي الكامل يمثل سر حياة الروح في تألقها وسرورها، ذلك أن الروح هي السر العلي في الإنسان، وأنها تشرفت بالاضافة إلى الباري عز وجل، كما في قوله سبحانه (**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**) [٢]

---

(١) سورة يس آية ٤٠

(٢) سورة ص آية ٧٢

فهي تختلف عن الجسد من حيث مادتها ومددها ومدتها.

أما المادة: فهي نور أودعه اللّه في الجسد فدبت فيه الحياة، وبدونها يكون فناء الجسد.

وأما المدد: فإنها توصف بالعلو والترقي، وتوصم بالهبوط والتدني، وذلك حسب روافدها ومددها، وتعطل سيرها وخمولها.

وأما المدة: فإن الروح قديمة لا توصف بحياة ولا بموت، وأرواح العارفين منعمة خالدة، وأما الجسد فهو حادث وعارض.

والمربي الكامل يزيد منسوب الروح فتقوى جنودها ويكثر عددها، فتصاب الروح بنشوة سكرية تكون بها حياة الروح الحقيقية، تلكم الحياة التي تنفعها حال تعلقها بالبدن نورا وقبولا وإشراقا وسرورا، وبعد خروجها من البدن سياحة في الملكوت وانطلاقا .

والمربي الكامل يصب على الروح إكسير الحياة فينتشي المريد، ويعطس بحمد الله، ويمضى على اسم الله، وليس هذا ضربا من الخيال أو أن مثل هذا لا يقال، فمازلنا على بحار الروح وساحلها، وأنى للخلق أن تغوص في أعماقها وهي من أمر الله التي أمرنا بتفويض أمرها إلى الله، قال الله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) [1] ولكن

(١) سورة الإسراء آية ٨٥

هذه الأسـرار هي مما يتجلى للسالك، حيث يتأمل في نفسه فيجد البون واسعا بين الحالين، والفرق واضحا بين الزمانين، بين حاله قبل صحبة الشيخ، وحاله بعدها، وبين زمانه الأول والثاني، فيجد ـ بعد صحبته ـ أن الـروح قد توجت بهالة من البهاء وكسيت بأثواب الصفاء وحيطت بأنوار البهاء وانطلقت بإكسير الحياة، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الرابع عشر: السقف المحفوظ من العيوب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

١٥ - والسـماءُ بـناؤهُ شُـدّت فكانت
خـاليـاتٍ مـن سـحـاب أو فُـطُـورِ

وفي البيت السابق إشارة إلى الصفات الثّانية والثلاثين، والثالثة والثلاثين، والرابعة والثلاثين من صفات المربي الكامل وهي كالتالي:

الصفة الثانية والثلاثون: وهي (شد سمائه وشدتها)

والسماء تطلق ويراد بها السقف العالي، والمقصود بسماء المربي هنا: سماء معرفته، فهي عالية مشدودة، محفوظة بحفظ الله، مرفوعة بغير عمد ترونها، وقد رفعت بعمد التوفيق والتحقيق، وهي سماء مظلة للسالكين، ينظر إليها المريد فيرى تناسقها وانتظام نجمها، وقد أضاءت مصابيحها الكون فعمت الأرجاء، وطلعت شمسها فأنارت الأنحاء، وهي في ذاتها مشدودة البناء .

الصفة الثالثة والثلاثون: وهي (خلو سمائه من السحب والغيوم)

وخلو سماء المربي من السحب والغيوم معناه: أن تلكم السماء صافية للرائي، يرى باطنها من ظاهرها، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، ويدرك أنها سماء ولي الله، وأن

الصورة ترجمة للسيرة، على حد قول سيدنا عبد الله بن رواحة مادحا رسول الله صلى الله عليه وآله:

لـــو لـــم تـــكـــن فـــيـــه آيــــــات مـــبـــيـــنـــة

لـــكـــان مـــظـــهـــره يـــنـــبـــيـــك عـــن خـــبـــره

فإذا رأيت وجهه رأيت سيما الصالحين، وإذا رأيت مشيته رأيت سبيل العارفين، وإذا عاينت بسمته وجدتها على منهاج سيد النبيين، فتبصر سماءه خالية من سحب الغفلة وغيوم الفكر، وأرضه خالية من وحل الذنوب ومزالق العصيان.

الصفة الرابعة والثلاثون (خلو سمائه من الفطور والتشققات)

وكذلك سماء العارف خالية من الفطور، وهي: الشقوق التي تؤثر على قوتها وتماسكها، وربما أضرت بمن تحتها، وأظهرت وهنها وضعفها.

والفطور في عالم الإنسان يتناوله من جهات :

الأولى: من جهة العلم، فقد يتخبط العالم أحيانا ويزل أخرى، والمربي الكامل غير متخبط ولا جاهل، إن قال وفق وإلا توقف، فهو داعية مأذون، ناطق بأمر من يقول للشيئ كن فيكون.

الثانية : من جهة المعاملة، فقد يسيئ الإسان معاملة غيره بقصد أو بغير قصد، ولكن المربي الكامل يتعامل مع الخلق بالحق، فهو على منهج رسول الله الذي ما كان يحتقر صغيرا ولا ضعيفا ولا خادما ولا امرأة، وربما سار معها حتى يقضي حاجتها.

والمربي الكامل يؤنس الصغير والكبير، والضعيف والقوي، والعالم والأمي، ولا ينأى بنفسه عن جليسه، ولا يقيم نفسه في رتبة أعلى من طالبه، ويتفانى في خدمة ضيوفه، ويقدم له صنوف الضيافة قدر استطاعته، ولو لم يؤاكل إلا كفؤا له ما آكلهم، ولو لم يجالس إلا كفؤا له ما جالسهم، ولو لم ينكح إلا كفؤا له ما نكح إليهم، ولكنه آاكلهم وجالسهم ونكح إليهم، فلا ترى في حياته فطور الأثرة ولا شقوق الأنانية.

الثالثة : من جهة المعرفة، فإن الناس في المعرفة متفاوتون، أما الولي العارف والمربي الكامل فإنه ممكن بتمكين الله له، إذا نطق نطق بلسان المقربين، وإذا تنفس تنفس أنفاس العارفين، وإذا فعل فعلى منهاج سيد المرسلين.

ومن مظهر تماسك سماءه وعدم فطوره: أنه ربما ظهر للمريد بمظهر الوهن في جانب المعرفة، فكان ذلك أمارة تمامه لا دلالة نقصه، وكان ذلك علاجا للمريد حتى لا يغتر به ويغالي فِيهِ، وكأنه يهمس في أذنه قائلا: **(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)**[1]

والحالة السابقة يصدق فيها قول الحكيم:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من دروع الكتائبِ[2]

(١) سورة البقرة آية ١٦٥

(٢) النابغة الذبياني يمدح ملوك غسان انظر : الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) ص ٤٦

وانحناء السيف ليس عيبا فيه، وإنما هي دلالة على شجاعة حامله، وكذلك المربي الكامل، فمتى بدا منه ما ظاهره بعض الفطور فإنها علاج في غالب الأمور.

وأما العامة فدون ذلكم المستوى، فقلوبهم تحتاج إلى تجديد الديكورات الإيمانية ممزوجة بطيب المعاملة ومزيد من الاستقامة، حتى تشرق بنور الحكمة وتسطع بجليل المواهب والواردات.

وتحتاج جدرانها إلى بعض الترميمات، فقد يصيبها التآكل والتشقق فتحتاج الى ربئ صدعها بجرعات إيمانية تدارى شقوقها وتزين منظرها، وتحتاج إلى كمية وافية من الدموع الصافية التى يضاف اليها مقادير ليست بالقليلة من سائل الخوف والخشية فتلتئم الشقوق وتختفى التشققات.

ويحدث بين الحين والآخر تغير بألوان أعمدتها فيبهت لونها، ويصيبها غبار الذنب فتحتاج الى إزالته وتطهيره من جديد باستدراك أخطاء الماضى وتلاشيها، ثم نقش معانى والولاء والمتابعة مربوطة بحزام المراقبة، وينبغي أن تزخرف الأعمدة بباقة من ورود المحبة تتخللها خيوط الإخلاص من أسفل إلى أعلى فتبدو ألوانها ورسومها متناسقة غاية.

وما أجمل أن يفرش القلب بفراش الانكسار والتواضع حتى تنسجم ألوانه وتتبختر أركانه فيبدو واحة من الجمال على غير مثال.

ولكنى أرى العمارة مكلفة والنقش مرهقا وهو يحتاج الى وقت ليجمع ماله ويكتمل نصابه، ويحتاج إلى توفيق من الله أولاً، ثم الشيخ المربي الخبير بهذه العمارة ثانياً، وهو القائم عليها من النشأ إلى الغاية، فاللهم أعنا على عمارة قلوبنا حتى تبدو واحة مشرقة بأنسك صافية يوصلك، دائمة بحبك، حتى لايصيبها وهن البعد وتساقط الذنب، وهدم الانقطاع يارب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الخامس عشر: إتصال الشيخ بالمريد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

١٦- يـوصـلُ الـمعـنَـى إلـيـكَ بـكـلِ معنى
واعـــظٌ فـــي الـســـرِ تـــالٍ فَـــي الـصـــدورِ

أشار البيت السابق إلى الصفات: الخامسة والثلاثين، والسادسة والثلاثين، والسابعة والثلاثين من صفات المربي وهي كالآتي:

الصفة الخامسة والثلاثون: (توصيل المعنى المراد)

والمراد: أن المربي محيط بطاقة جليسه ومقدار تلقيه، فهو لا بتركه حتى يرويه، يحدثه في ظاهره وخافيه، ويوصل المعنى إليه بكل معنى، أي بكل وسيلة وطريقة، لأنه وارث الحضرة النبوية، قال الله تعالى (**وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**)[1] أي: ليفهم، ويحدثهم بما يعلمون ليفهموا عنه.

والمربي الكامل يجلس إليه مريده وبينهما في الدرجة بعد المشرقين، ولكنه ينزل عن رتبته ليصحب مريده ويرقيه ويحدثه، ويعلم متى تصيب نصيحته المرمى، ولا يزال به حتى يفهمه عن الله، فيبدأ في علاجه كما الطبيب، غير أن الطبيب يسأل المريض عما يشعر به، وعن موضع ألمه في جسده، أما

(١) سورة البقرة آية ١٦٥

المربي فيدرك علة المريد المريض بدون سؤاله، وربما لا يعلم المريد داءه، فيعالجه بدواء الله حتى يبرأ بإذن الله.

الصفة السادسة والثلاثون: (موعظة السر)

والمقصود: أن المربي الكامل واعظ في سره لمريده، فإذا هم المريد بمعصية الله أحس بشيخه ينهاه في سره يقول له: لا تنحدر نحو الهاوية يا ولدي، ما هكذا العهد بيننا، فاحذر مزالق الشيطان، **(كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)** [1] مع اختلاف البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام والذي يراه كل مريد صادق في معاملته.

والعباد المخلَصون ليسوا النبيين فقط، بل هم المحفوظون الذين لا يقربهم الشيطان في كل عصر وزمن، هكذا فسرها أهل التفسير قاطبة، وقد استثناهم إبليس لعنه الله **(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)** [2]

ولذلك كان المريد الصادق يستحضر جلال شيخه في كل لحظة حتى لا يميل عن الطريق، ولا يقول منفعل متعطل:

كيف تقول يستحضر جلال شيخه؟ أليس الأولى به أن يستحضر جلال الله الذي نهاه؟ أليس هذا ممن ذمهم الله بقوله: **(يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً)** [3]

---

(1) سورة يوسف آية ٢٤

(٢) سورة ص آية ٨٢ ، ٨٣

(٣) سورة النساء آية ٧٧

أقول له: على رسلك يا أخي، إن استحضار جلال الشيخ وهيبته لا يعني الجرأة على الله، فالشيخ هو المبلغ المباشر عن الله وعن رسول الله، وهو داخل في عموم قول الله ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

وأما الآية التي ذكرت فلن أجادلك في سياقها ولحاقها، وقد نزلت في اليهود كما ذكره مجاهد، ونقله الطبري وابن كثير، فإن خشية الناس كخشية الله هو من الشرك بالله، فكيف إذا أضيف لها قوله أو أشد خشية؟

ولكن ينبغي ان تعلم أن هيبة الشيخ في الحذر من معصية الله هي من جنس مخافة الله، وما كانت خشية الشيخ وهيبته إلا اتقاء سخط الله، بل وما كانت غيرة الشيخ على مريده إلا من أجل مرضاة الله، فتمهل ولا تتعجل فمن عجل فشل .

الصفة السابعة والثلاثون (تلاوة الصدور)

والمربي الكامل تال في صدر مريده بلطائف المعرفة، يراسله ببريد الحب، ويواصله بزاجل القرب، ويغنيه عن اتصال الظاهر بأسرار الباطن، فيشمله بالدعوات الغيبية، والمراقبة النورانية التي من خلالها يمتلئ قلبه هدى ونورا، وربما رأى المريد شيخه في منامه فأعلمه بما ينبغي أن يكون عليه من من معاني القرب، وربما وجد في نفسه الخفة للطاعة بأثر الشحنة الإيمانية التي أخذها من شيخه يوم لقائه، وربما

(١) سورة التوبة آية ١٠٥

استحضر مما سمعه منه ما كان علاجا لما هو فيه لاحقا، وربما جاءته الرسالة عن طريق أخ له في الله فكان من أسرار المعية، وربما وربما، والباب محرز وفي الزوايا خبايا كما يقولون.

وإنما خص الصدر ليكون مقر التلاوة لأنه في الحقيقة مهبطها، فأنوار الهداية تنزل على أرض القلوب، ألا تسمع قول الله تعالى (**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**)(١)

ولا يظن أحد أن المقصود بهذا وحي الرسالة فقط، فإن الإلهام نوع من أنواع الوحي، وقد عده الإمام الهروي من منازل السائرين وشرحه ابن القيم في المدارج.

وإنما خصت تلاوة الشيخ في صدر مريده لأنها أبلغ من تلاوة المعلم في أذن تلميذه، لأن تلاوة الظاهر تزول بالنسيان والانصراف، وتلاوة الصدر تتأبى على الزيغ والانحراف، وتلاوة الصدر أرسخ من قراءة السطر، وفي كل خير، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة الشعراء آية ١٩٣ ، ١٩٤

المجلس السادس عشر: الولي من تذكرك بالله رؤيته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

١٧- تـذكـرُ الـمـولـى بـرؤيـتـه الكريمة
تُــلــفِ إيــمــانــاً وإجــلالَ الـشـكـورِ

وقد جاءت الإشارة في البيت السابق إلى الصفتين: الثامنة والثلاثين، والتاسعة والثلاثين من صفات المربي الكامل، وهما كالآتي:

الصفة الثامنة والثلاثون: وهي (ذكر الله عند رؤية الولي)

وإلى تلكم الصفة أشار القوم في قولهم: إن الولي من إذا رأيته ذكرت الله، وليس معنى ذكرت الله ذكرت لفظ الجلالة باللسان فقط، بل ذكرت الله العظيم الذي أودع في خلقه مثل هذا العارف، وذكرت الله الذي لا يقدر على عطاءه غيره، وذكرت الله إذ رأيت أكبر آياته في خلقه شاهدة عليه، فالولي أكبر آيات الله الدالة عليه.

ولو نظرت إلى المربي الكامل لقلت: لا إله إلا الله، وأتبعتها بقول الله **(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)** [١]

والولي الكامل: من تذكرك بالله رؤيته، فتشكر مولاك قائلاً: جل شأن الله في تقديره وقسمته في خلقه.

---

(١) سورة النمل آية ٨٨

واعلم أخي أن النظر في وجوه الصالحين عبادة، لأنها وجوه توجهت إلى الله ومانظرت إلى غيره، فهي الوجوه الوجيهة، وقد مدح الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصفهم في التوراة بأنهم (**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**)[1] ولولا أن سيما الرجل تدل على صلاحه لما كان لها هذا الشأن، وما استحقت ثناء الله.

وللوجوه حالتان في الخير: حالة تكلف، وحالة جبلة، أما حالة التكلف: فمطلوب من كل مسلم أن يلقى أخاه بوجه طلق، أي باش مستبشر، ولو تكلف في ذلك جاز له، وأما حالة الجبلة فهي: البشاشة والسماحة التي طبعت في وجوه المرسلين وأتباعهم من الصديقين، وأهل المعرفة تتمعر وجوهم لرؤية المعاصي فيرى أثر ذلك عليها، وربما بش الشيخ في رؤية بعض العصاة حتى لا يقنطه من رحمة الله، وليسقيه النصيحة والموعظة في شراب سائغ شرابه، كالذي يصنع من الليمون شرابا حلوا فيسقيه العاصي، فلا ينصرف العاصي إلا وقد فهم من الإشارة، بل ومن الابتسامة ما يكون كفيلا بصرف وجهه عن المعصية، وهم ينظرون إلى العصاة نظرة رحمة وشفقة، وكما قيل: من نظر إلى الناس بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم، والفرق بين وجوههم عند رؤية العصاة ورؤية الأدعياء للعصاة: أن الأدعياء يهشون ويبشون في

---

(١) سورة الفتح ٢٩

وجوه العصاة ويظهرون لهم أنهم على خير، وهذا سبب غبن العاصي، فيرى في بشاشة الشيخ رضا عن حاله، فلا يستقيم له سلوك ولا يحسن له خلق.

هذا، ولا تتأثر وجوه العارفين بألم الحياة ومحنها لأنهم راضون عن الله في كل حال، ولو رأيت أحدهم وقد نيف على السبعين من عمره وقد علته هالة الأنوار لدلك على قدرة الله وعلمت فضل الله على أوليائه بحفظ جوارحهم وسلامة حواسهم مقارنة بأهل الخزي والآثام الذين أذهبوها في حياتهم الدنيا، فلا تطيق النظر إليهم من القترة التي تعلوهم ولو بلغوا من الجمال مبلغا، على حد قول القائل:

جـمـال الـوجـه مـع قـبـح الـنـفـوس

كـقـنـديـلٍ عـلـى قـبـر الـمـجـوسـي

الصفة التاسعة والثلاثون (حصول الإيمان والجلالة عند رؤيته)

ولا شك أن الإيمان الذي يملأ قلب المحب الصادق حين يرى شيخه أجل من أن يوصف، وهذا هو الفارق بين الولي والدعي، فرؤية الدعي ترفع منسوب الهوى والدعوى، أما رؤية الولي الصادق فتزيد منسوب الإيمان في السر والنجوى.

ومن العجيب أن رؤية العارف تقشعر منها جلود الذين يخشون ربهم هيبة وإجلالا، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله حضورا وحالا، وهذا الذي عبر عنه القوم بمصطلح الحال،

ولا ينشأ الحال إلا عن صالح أعمال، وإلا فمدعيه مفترٍ دجال، وهذا هو السر في قولهم:

حال رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل لرجل .

وأما الجلالة التى تصيب المريد عند رؤية شيخه: فهي ناشئة عن الهيبة والوقار اللذين كسا الله بهما وليه، وكيف لا وهو يحمل أوعية العلوم والمعارف، ولذلك كان إجلال الشيخ وتوقيره وتعزيره رافد من روافد الفتح، ولن يفتح الله إلا على قلب مؤدب، ومن عظم المعظمين لله أوجد الله له من يعظمه، وإجلال الولي إجلال لمن ولاه، وتعظيم الولي تعظيم لمن اختاره واصطفاه.

ولا يقول البعض إن تعظيم الشيوخ هو نوع من التقديس المنهي عنه، والجواب: أن التعظيم والتوقير في حد ذاته تعظيم لله، والفرق بين المربي الكامل غيره: أن المربي الكامل يوصلك بِحبل الله ويدلك عليه ويربطك به، ولسان حاله يقول(**تَاللَّه لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ**)[1] أي لنسرق عباد الله من الله ونبعدهم عن التعلق بجلال الله.

أما الدعي فهو يربطك بنفسه ويدلك عليها، ويبغي من وراء أعماله الثناء والشكور والرفعة وحب الظهور.

---

(١) سورة يوسف آية ٧٣

وإذا أردت أن تتعرف على أهل الصدق مع اللّٰه فانظر إلى أتباع هذا وهذا، فمن وجدت أتباعه أشد ارتباطا باللّٰه وبدينه فاعلم أن شيخهم صادق ولي، وهو على وصلهم إذا يشاء اللّٰه قدير.

وإذا رأيت الأتباع أشد ارتباطا بشيخهم، يذودون عنه بلا روية ولا علم ولا أخلاق سنية، فاعلم أنهم فاقدوا التزكية، ومن دلك على اللّٰه فقد أراحك، ومن دلك على نفسه فقد أتعبك، واللّٰه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد للّٰه رب العالمين.

المجلس السابع عشر: مؤانسة القلب والروح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

١٨- يـؤنـسُ الـقـلـبَ بـأنـوارِ التجلي
جـاذبٌ لـلـروحِ داعـيـةُ الـبـكـورِ

أشار البيت السابق إلى الصفات: الأربعين، والحادية والأربعين، والثانية والأربعين من صفات المربي الكامل، وهي كالآتي:

الصفة الأربعون: وهي (مؤانسة القلب)

ذلك أن الشيخ المربي لا يغيب عن قلب المريد مؤانسا له ومساررا، قال الشيخ العارف سيدي أحمد أبو الحسن رحمه الله:

وقـد سـكـنـوا الـفـؤاد وعـمـروهُ
بـأنـوار الـلـطـائـف نـوروهُ
ولـمـا سـار مـنـهـم سـارروهُ
غـدا بـيـتـاً وفـيـه الـحـق نـاظـر

وتلكم المؤانسة غريبة من نوعها، فالمريد يأنس بشيخه ولو كان بأرض موحشة، وقد محقت المؤانسة الأغيار ومحت المسازرة الأكدار، ولذلك ترى الصالحين لا يعبأون بالخلق كثرة وقلة، ولسان حالهم يقول بقول رابعة:

ولـيـت الـــذي بـيـنـي وبـيـنـك عـامـر

وبـيـنــي وبـيــن الـعـالـمـيـن خــراب

إذا صــح مـنـك الـــود فـالـكـل هين

وكــل الـــذي فـــوق الـتــراب تـــراب

وأما قلوب أهل الدعوى فقلوبهم موحشة قفرة ولو اجتمع حولهم الخلق جميعا لأنهم:

رضـوا بـالأمـانـي وابـتـلـوا بـحـظـوظـهـم

وخـاضـوا بـحـار الـحـب دعـوى فـما ابتلوا[1]

وأنس القلوب أمارة سكونها بالمحبة، ودلالة صلات المودة، واعلم أخي أن هذا ليس افتراء ولا تخبطا، وإنما هو من أصول السير، والإنسان عدو لما جهل، وفي القرآن (**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**)[2] ومن ذاق عرف، ومن لم يصل الى هذا المقام ينبغي أن يسلم به لأهله، فإن إنكاره حرمان، وحال الأحبة محجب عن المنكرين.

وقد مضى أن الولي من إذا رأيته ذكرت الله، وقد قال الله (**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**)[3] فرؤية العارف ذكر لله، ووجوده في القلب عمار له، والمحبون في مقام الحب أنواع: فمنهم من يتحرك حين ذكر محبوبه، وكما قال سيدي أبو مدين الغوث رحمه الله:

---

(١) ديوان ابن الفارض قصيدة هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل

(٢) سورة يونس آية ٣٩

(٣) سورة الرعد آية ٢٨

يـحـركـنـا ذكــر الأحــاديـــث عـنـكـمـوا
ولــولا هــواكـم فــي الـحـشـا مـا تحركنا

وقال آخر:

إذا ذكــر الـحـبـيـب ونــحــن جـمـعٌ
تـــرى كـــلا لـــه حـــال اعـــتـــراهُ

ومن المحبين من هم متيمون في المحبة، وهم شهداء المحبة الذين ماتوا في حب أحبابهم، والحب أنواع: فحب علاقةٍ، وحب تملاقٍ، وحبٌ هو القتلُ.

وهذا الأخير هو مقام المؤانسة التي تسكن القلب ولا تفارقه، وهو أكمل المقامات.

الصفة الحادية والأربعون وهي (جذب الروح)

والمقصود أن المربي الكامل كالمغناطيس جاذب لأرواح الصفوة، ومعاملته مع المريد ذات محاور ثلاثة: معاملة مع النفس تربية وتزكية، ومعاملة مع القلب تخلية وتحلية، ومعاملة مع الروح شهودا ونورانية، وهو مع الأرواح جاذباً لها إلى مقام السكر، وهو نشوة الوصل فتهتز طربا بحبهم:

كـذلـك أرواح الـمـحـبـيـن يـافـتـى
تـهـززهـا الأشـــواق لـلـعـالـم الأسـنـى

وعالم الروح هو: عالم الأنس والشهود، وهو أعلى من عالم الحس والمشاهدة، والمربي الكامل لا تحجبه الليالي والأيام،

ولا الدهور والأزمان، ولا البيوت والجدران، وهو مقام انطلاق في فضاء الإسلام والإيمان والإحسان.

وكم جذبت أرواح المقربين أرواح المحبين، وهذا لتعارفها في عالم الذر، وأنسها في يوم عهدها القديم، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، مَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ."[1]

الصفة الثانية والأربعون (داعية البكور)

والبكور في الزمان أوله، وفي النهار فجره، وفي الثمر طلعه، وفي الجنان حوره، والمقصود: أن الشيخ المربي يبدء مع المريد من حيث العهد القديم، والمشار إليه بقول الله **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى)**[2] فينمي فيه ذلك العقد القديم، وهو الإذعان بالربوبية، ويزيل عنه غبار الغفلة حتى يعود صافيا كما كان، وحتى تستقيم عنده الفطرة النقية التى ولد عليها، ويغذيه بالأنوار والأسرار حتى يصير عالي البنيان.

والمربي الكامل كمؤذن الطير ينادي في البكور، وكمؤذن الفجر ينادي الصلاة خير من النوم، وبلسان حاله يقول: الصلات خير من الغفلة، قم يا مريد القرب وانهض، فلم تخلق

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب الأرواح جنود مجندة رقم ٢٦٣٨

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٢

للنوم، يهمس في أذن المريد قائلا:

قــد رشــحـوك لأمـــر لــو فـطـنـت له

فــاربــأ بـنـفـسـك أن تــرعــى مــع الهملِ

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثامن عشر: الارتقاء حالاً في رؤية العارف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

١٩- يرتقـي المنسـوبُ بالأنفاسِ لحظـا
قـد طَـوى الـسـبـعينَ فـيِ نـهـم الـجَـسُـورِ

وفي البيت السابق إشارة إلى الصفات: الثالثَة والأربعين، والرابعة والأربعين، والخامسة والأربعين من صفات المربي الكامل، وهي كالآتي:

الصفة الثالثة والأربعون: (يرقي بأنفاسه)

العارفون: المربي الكامل هو من يرقي بأنفاسه، ومعنى ذلك: أن مجرد الجلوس بين يديه منورٌ للباطن، ومرقٍ للروح، ومطهرٌ للنفس، وذلك للأسرار التى خرجت في صحبةِ الأنفاس، ولو كشف الله للعبد عن مدى ومرمى أنوار أنفاس العارف لما برح ديوانه، ولقضى حياته جواره، ولو كشف الله للعبد عن أنفاس العصاة والمجرمين لما أطاق البقاء معهم، ولكن الستر عم لتستمر الحياة، ولو تكاشفتم ما تدافنتم، فسبحان من أظهر الجميل وستر القبيح.

والمربي الكامل صاحب النَفَس الطاهر، واللسان الذاكر، فسؤره شفاء، ونَفَسه دواء.

والنَفَس هو: الهواء الذي يتنفسه الحي، وأنفاس الترقي لا تتوقف أبدا، والنَفَس يصحبه الصوت المعبر عن الحروف، والحروف تعبر عن لغة الخطاب، وكلمات العارف تخرج مطيبة بمسك الأنفاس، فتنفذ إلى القلوب فتحيي مواتها، وإذا كان الحاسد يضر بدون أن ينطق لموت قلبه وكراهيته الخير لغيره، فالعارف ينفع لحياة قلبه وحبه الخير لغيره، وشتان بين أنفاس مباركة وأخرى مضرة فاتكة .

وأنفاس المربي يصحبها ذكر وفكر وشكر، وبها يرتقي المريد بحسن توجهه وسلامة نيته، وحديث قاتل المائة في الصحيحين خير شاهد على ذلك[1]، فما أرشده العالم إلى الذهاب إلى قرية الصالحين إلا لما تمتاز به من وجود العابدين الصلحاء، الذين تحمل أنفاسهم رسائل الوصل والقرب، والمرء على دين خليه.

---

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب: رقم ٣٤٧٠ وصحيح مسلمكتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله رقم ٢٧٦٦ عن أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: « كَانَ فيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تسْعَةً وَتسْعينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَم أَهْل الْأَرْض فَدُلَّ عَلَى رَاهب، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إنَّهُ قَتَلَ تسْعَةً وَتسْعينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ منْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ به مائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَم أَهْل الْأَرْض فَدُلَّ عَلَى رَجُل عَالم، فَقَالَ: إنَّهُ قَتَلَ مائَةَ نَفْس، فَهَلْ لَهُ منْ تَوْبَة؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَة؟ انْطَلقْ إلَى أَرْض كَذَا وَكَذَا، فَإنَّ بهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّه فَاعْبُد اللَّه مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجعْ إلَى أَرْضكَ، فَإنَّهَا أَرْضُ سَوْء، فَانْطَلَقَ حَتَّى إذَا نَصَفَ الطَّريقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فيه مَلَائكَةُ الرَّحْمَة وَمَلَائكَةُ الْعَذَاب، فَقَالَتْ مَلَائكَةُ الرَّحْمَة: جَاءَ تَائبًا مُقْبلًا بقَلْبه إلَى اللَّه، وَقَالَتْ مَلَائكَةُ الْعَذَاب: إنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ في صُورَة آدَميٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْن، فَإلَى أَيَّتهمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إلَى الْأَرْض الَّتي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائكَةُ الرَّحْمَة»

الصفة الرابعة والأربعون (طي السبعين)

العدد سبعون للمبالغة، والعرب إذا أرادت المبالغة في العدد ذكرت السبعين، ومنه قوله تعالى (**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّه لَهُمْ**)[1]

والطي المراد به هنا: طي الحجب المانعة، وطي المقامات الجامعة.

فأما طي الحجب المانعة فمعناه: اختراقه لحجب النفس الموبقة التى تمنع من بلوغ الكمال، ومنها: حجاب الشح، وحجاب النفاق، وحجاب الرياء، وحجاب الشهوة، وحجاب السمعة، وحجاب الظهور، وحجاب الخصوصية، وحجاب القيادة، وحجاب الوصاية، وحجاب الإنفراد، وحجاب التملك، وحجاب التملق، وحجاب الادعاء، وحجاب الالتواء، وحجاب الكثرة، وحجاب الأثرة، وحجاب الجاه، وحجاب العلم وغيرها.

وأما طي المقامات الجامعة فمعناه: طي مقامات الوصل، والشيخ المربي لا يزال في ترق دائم وطي للمقامات، فما أن يصل إلى مقام من مقامات القرب إلا ويبرحه الى ماهو أرقى منه، خلافا لمن يأنس ويقف عند مقامه، والواقف مقطوع، وما عدد الله مقامات الوصل إلا ليقول للسالك: إن الذي تطلب أمامك، والسالك لا يقف حتى يحط رحله بالجنة، وأن إلى ربك المنتهى .

---

(١) سورة التوبة آية ٨٠

الصفة الخامسة والأربعون وهي (نهم الجسور)

والمعنى: أن المربي الكامل لا يتوقف نهمه في السير والمعرفة، فهو شغف جسور، يسبح في بحار العلم، وينهل من أنهار المعرفة، ولو عددت أنفاسه وأوقاته التي يقضيها بعيدا عن العلم والمعرفة لما وجدت شيئا، فإن مجالسه مناقشة وتوجيه، وسيره تأمل وتنبيه، وهو دائم الذكر في بيته وناديه، خيرة العبَّاد، ومنافس أهل المعرفة والوداد، وهو في العلوم من السادة الرواد.

والمربي الكامل: إن نام نام على ذكر، فهو ذاكر لله في كل أحيانه كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتسبح روحه في سماء المقربين، وتعرج إلى أعلى مقامات السائرين، فيشاهد المرائي الحسنة، وهو في حال استغراق في الجمال والجلال، فإذا أفاق من نومه ذكر الله، وربما أكمل ما كان يسبح فيه، فنطق بلسان أهل الشهود، وكأنه ماغفل لحظة عن الوجود، فسبحان من أودع سره الكمل من عباده! وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس التاسع عشر: الطي الزماني والطي المكاني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٢٠- غـيّـبَ الـمـشـهـودَ فـي كـهـف وسـار
حـيـثُ شـــاءَ اللّه فـــي طًـــيِ الـــدهـــورِ

الصفة السادسة والأربعين من صفات المربي الكامل: وهي (الطي الزماني والطي المكاني)

وقد مضى الحديث عن طي الحجب وطي المقامات، وهنا أتبعه بالحديث عن الطي الزماني والطي المكاني.

والطي الزماني معناه: معاينة الزمان الماضي وجمع أحداثه معاينة وشهودا.

والطي المكاني معناه: الرحلة والانتقال في عالم الحس من مكان لآخر بلا قيود.

وأما جملة: (وسار حيث شاء الله) فالمقصود منها طي المكان .

وأما جملة (في طي الدهور) فالمراد منها طي الزمان.

والمراد: أن الشيخ المربي غيَّب المشهود -وهو الجسد الظاهر- في كهف الوجود، ومضى في طي الزمان والمكان، وجيئ بالكهف لوحشته، والدنيا كذلك موحشة لأهل الله وهي سجن المؤمن .

والمقصود من تغييب الجسد المشهود في كهف الوجود: أن الطي الزماني تطويه الروح دون الجسد، خلافا للطي المكاني فإنه يطويه الجسد والروح معا.

وقد طوى الله الزمان والمكان لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليلة إسرائه ومعراجه، وطوى الزمان والمكان لمريم فأطعمها طعام الشتاء صيفا، والصيف شتاءا، وجاء بهما من غير مكانها، وطوى الزمان والمكان لجليس سليمان الذي عنده علم من الكتاب، فأتى بعرش بلقيس قبل ارتداد طرف سليمان من اليمن في أقل من لمح البصر.

وهذا الأخير هو قريب الشبه بحال الشيخ المربي، غير أن جليس سليمان جاء بعرش حسي والشيخ المربي يجيئ بعرش رباني.

وإذا أردت أن تقف على حقيقة الطي الزماني: فانظر إلى المربي الكامل وهو يحدثك عن أحوال الماضين، حديث أهل المعرفة لا حديث أهل العلم فحسب، بل وربما صحح أحداثا تاريخية محرفة، فتناولها من حيث الشهود والكشف، وربما أبان عن كثير من الأخبار والأحداث التي دست في كتب التراث، فمحى عنها غبار التزييف، وأزال عنها شطط التحريف.

ومن الإشارات والطائف في ذلك قول النبي صلى الله عليه واله وسلم **"يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ**

تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ "[١]

وقد خص النبي عدول الخلف بحمل العلم دون غيرهم، فقال "من كل خلف عدوله" .

وهاء الضمير تعود على الخلف الذين هم عدول الزمان، إشارة إلى زمان الخلف الذي يتبع السلف، وخص الحمل عن العدول دون سائر العلماء إشارة إلى علماء الآخرة، لأن العدالة تقتضي عدل الرواية وأهلية الحمل علما وسلوكا، فنبه إلى العلماء الربانين الذين ينقلون العلم بشاهدي عدل، وهما: تلقي العلم عن الأثبات، وتوثيقه عن طريق الكشف والهبات، لأن نفي التَحْرِيف الغال وانتحال البطال وتأويل الجهال لا يقدر عليه إلا الكمل من عباد الله .

وأما طي المكان فمعروف من حيث الكرامة، ومشهور في كتب القوم وسيرهم، ودليله حديث الولي من صحيح الإمام البخاري عن رب العزة سبحانه "**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**"[٢]

(١) سنن البيهقي رقم ٢٠٩١١

(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب التواضع رقم ٦٥٠٢

فقوله "ورجله التي يمشي بها" أي يخطو بها، فهو يمشي برجل الله وفق مراد الله.

وطي البلاد زمانا ومكانا شائع ومعروف في دنيا الناس، وفي الحديث **"وَعَلَيْكُمْ بِسَيْرِ اللَّيْلِ، فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ مَا لاَ تُطْوَى بِالنَّهَارِ"**.[1]

وأما طي الأرض للعارف فسواء فيه الليل والنهار.

وإذا تأملت قصة جليس سليمان ومجيئه بعرش بلقيس في أقل من لمح البصر ظهر لك الآتي:

أولا: أن جليس سليمان لم يكن نبيا، بل كان وليا صالحا، وكان يعلم الاسم الأعظم الذي إذا سئل به المولى أعطى، وإذا دعي به أجاب.

ثانيا: أنه اقتدر بقدرة المعرفة بالله والعلم بكتابه، وهذان هما مقياس الكرامة عند أهل العلم، وهما ثياب الولي وتاجه.

ثالثا: أنه على علم بقدرته وطاقته الروحية التي لم يستخدها من قبل، ولو استخدمها لعرف ذلك سليمان واختاره على سبيل التعيين لا على سبيل السؤال، وهكذا العارفون لا يمتطون الكرامة لنيل المكانة والحظوظ .

رابعا: أن المجيئ بعرش بلقيس ونقله من مكانه يحتاج إلى طي الزمان والمكان معا، فمجيئه على هذا النحو لا يتأتي في طاقة البشر إلا بقدرة الله الذي يقول للشيئ كن فيكون.

(١) الموطأ رقم ٨٠٧

خامسا: رؤية سليمان للعرش مستقرا عنده وشكره لمولاه دلالة حصول الكرامة، وأنها باقية تستوجب الشكر ممن أوتيها.

والمربي الكامل يغيب نفس مريده ويسير بروحه إلى فضاء المعرفة، ولا يحده في ذلك زمان أو مكان، ولا تعجب أخي من علوم القوم ومعارفهم، وإن لم تصل فسلم لمن وصل، وليس كل ما غاب عنك شهوده لم يتحقق وجوده، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس العشرون : الشيخ غيب عن الوجود

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٢١ - حـالـهُ غـيـبٌ ومـاضـيـه الـشَّـهـادة
جـــاء بـالـمـكـنـونِ فـــي جـائـي الـعـصـورِ

أشار البيت السابق إلى الصفات السابعة والأربعين، والثامنة والأربعين، والتاسعة والأربعين من صفات المربي الكامل، وهي كالآتي:

الصفة السابعة والأربعين هي: (حاله غيب)

والمربي الكامل حاله غيب عن الوجود، ولا يعرف كنهه الذي هو حاله إلا أهل الوراثة المحمدية، لأن العامة لا تطيقه، ولو تجلى بتجليه لاندكت قلوب المريدين، ولكنه ينفق على حسب القوابل وأنوار التلقي، فتأتي قسمته عادلة فيمنح كُلاً على قدر طاقته، وكذلك كانت قسمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه في الأشياء الحسية والمعنوية، وهو القائل **"وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّه يُعْطِي"**[1] فهو يقسم بينهم على حسب ما يراه صالحا لهم، فيعطي ويمنع، وربما اختص بعض أصحابه بأشياء لا يشاركهم فيها غيرهم.

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا رقم ٧١ وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة رقم ١٠٣٧

والمربي الكامل يتصرف بحكمة علية تجل عن أفهام المريدين، لأنه غيب عنهم، ولا يدركون أسرار معرفته، ولا كيف نفقته، والعارفون ينفقون من السعة لا من الإقتار.

قال صاحب الحكم: (**لينفق ذو سعة من سعته**) وهم الواصلون إليه، (**ومن قدر عليه رزقه**) وهم السائرون إليه"[١]

ومن فتح الله له بابا في معرفة العارف فهو سعيد موفق، ومعرفة العارف أصعب من معرفة الله، لأن الله ظاهر في كل شيئ شئونه، وآثاره وشواهده تدل عليه:

وليس يصح في الأذهان شيئ

إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما العارف: فعلى قدر معرفته بالله على قدر خفاءه في نفسه، لأنه لا يريد أن يفتن الناس به، ذلك أن العامة يفتنون بالكرامات والغيوب ولا يبالون بالعلوم والمعارف.

ولا يكشف العارف من حال نفسه إلا إذا اضطر إليه، والذي يظهر منه هو ثياب الظاهر، ويبقى الباطن خفيا غير معلوم، فثياب الظاهر هو ثوب الصلاح، ويبقى لباس الباطن وكمال معرفته ومقامه وأحواله غيب عن الوجود لا يدرك لأي أحد، ومن هنا كانت معرفة العارف أصعب من معرفة الله.

(١) الحكم العطائية الحكمة رقم ٣٠

الصفة الثامنة والأربعون (ماضيه الشهادة)

والمقصود: أن ماضي العارف شهادة عنده لا ينسى منه شيئا، سواء في ذلك العلوم بأصنافها والمعارف بألطافها، فإذا تكلم في علم من العلوم استحضر من الشواهد والأدلة مما تلقاه في ماضيه وإن طال العهد به، فحضرت عنده بقدرة من يقول للشيئ كن فيكون، وهذا في عرف العلماء يسمونه: الذهن السيال، أو قوة الاستحضار، أو حضور البديهة، وفي عرف العارفين: هو الالهام والمدد.

وأما العالم فيجهد نفسه في استحضار علم الماضي تكلفا، وأما العارف فلا يتكلف استدعاءه، بل يحضره ضمن أنفاسه التي يتنفسها، ولا يستدل إلا بالمطلوب، وربما زاد العالم في حدود استدلاله فأتى بما هو زائد على موضعه، أما العارف فاستدلاله عنوانه: ليس في الإمكان أبدع مما كان.

ولا يقتصر شهود الماضي عند المربي على العلم والمعرفة الخاصة به، بل هو مشاهد ايضا لمستوى جليسه وعلمه وتخصصه وعطائه، وكل ذلك عنده في موضع الشهود والعيان.

الصفة التاسعة والأربعون (علمه المكنون)

والمقصود أن الله اختص بعض العارفين بالعلم المكنون، وهو على قسمين: علم خص به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض أصحابه دون بعض، كتخصيص حذيفة بمعرفة

أسماء المنافقين، وكالذي حدث به أصحابه جميعا حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وهو والمشار إليه في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: **"قَامَ فينَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مَقَامًا، فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ في مَقَامه ذَلكَ إلَى قيَامِ السَّاعَةِ إلَّا حَدَّثَهُ، حَفظَهُ مَنْ حَفظَهُ وَنَسيَهُ مَنْ نَسيَهُ"**[1]

فتأمل في قول حذيفة ـ رضي الله عنه ـ السابق **"فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ في مَقَامه ذَلكَ إلَى قيَامِ السَّاعَةِ إلَّا حَدَّثَهُ"**

وتأمل في قوله رضي الله عنه **"وَاللَّه مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ منْ قَائد فتْنَةَ إلَى أَنْ تَنْقَضي الدُّنْيَا إلا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا باسْمه وَاسْمِ أَبيه وَقَبيلَته.**[2]

وتأمل في قول أبي ذرٍ رضي الله عنه **"لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَمَا يُحَرِّكُ طَائرٌ جَنَاحَيْه في السَّمَاءِ إلَّا ذَكَّرَنَا منْهُ علْمًا"**[3]

وتلك العلوم وغيرها لها سلسلة من الحفاظ الربانيين الذين نقلوها للورثة المحمديين في كل عصر وزمن، ولا يخلو زمان من قائم لله بالحجة، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

(1) صحيح البخاري كتاب القدر باب وكان أمر الله مفعولا رقم ٦٦٠٤ وصحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم ٢٩٩١

(2) سنن أبي داوود أول كتاب الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها رقم ٤٢٤٣

(3) مسند أحمد مسند الأنصار حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه رقم ٢١٣٦١

المجلس الواحد والعشرون: عالم المثال آية من آيات اللّٰه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٢٢ -قد درى آيَ المثالِ من العوالم يسبقُ الأحدَاثَ لا وقتَ الظهورِ

وفي البيت السابق إشارة إلى الصفتين: الخمسين، والحادية والخمسين من صفات المربي الكامل، وهي كالتالي:

الصفة الخمسون: (عالم بالمثال)

وعالم المثال هو: شهود نموذج مفصح ومثال موضح لأحداث تحصل من بعد، فيكون عالم المثال كالحقيقة تماما.

والمربي الكامل صاحب الوراثة المحمدية والتلقي عن الله وعن رسوله، فهو دارٍ تماما بتلك الأمور وغير محجوب عنها.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا النوع من المعرفة كما في حديث أُسَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: **هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ"** [١]

وهذا يعني أَن النبي صلى الله عليه وآله رأى الفتن وصورت له بزمانها ومكانها، ورآها حقيقة كما يرى مواقع قطر الغيث من السماء، وهذا هو عالم المثال الذي يسبق عالم الوقوع.

---

(١) صحيح البخاري باب آطام المدينة رقم ١٨٧٨ وصحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب نزول الفتن كمواقع القطر رقم ٢٨٨٥

والمحجوبون بالحس لا يبصرون هذه الأشياء وينكرونها، وليس كل مالم يُدْرَ لم يكن.

ومن عالم المثال ما يكون من قبيل الرؤيا الصالحة، فقد تتمثل له الأشياء ويراها فتأتي كفلق الصبح، وتتحقق على نحو ما رأى من غير زيادة أو نقصان، ومعنى كونها صالحة: أي صالحة للتعبير، كرؤيا يوسف عليه السلام، ورؤيا الملك، وهي رؤيا صادقة في الواقع المحسوس، وتأويلها تنزيلها ووقوعها.

ومن عالم المثال مجيئ جبريل عليه السلام إلى مريم وقد تمثل لها بشرا سويا، وكذلك مجيئه إلى رسول الله في صورة دحية الكلبي مع وجود صورته الأصلية.

ومن عالم المثال ما أخرجه البخاري في صحيحه أن الصحابة قالوا: **يَا رَسُولَ اللَّه رَأَيْنَاك تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ ...**[1] الحديث

وهذا معناه: أن الجنة مثلت له فرآها حقيقة، وفي بعض الروايات أنه قال: **"قَدْ أُرِيتُ الآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمُ الصَّلاَةَ، الجَنَّةَ وَالنَّارَ، مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قُبُلِ هَذَا الجِدَارِ"**[2]

---

(١) صحيح البخاري كتاب الكسوف باب صلاة الكسوف جماعة رقم ١٠٥٢ وصحيح مسلم كتاب الكسوف باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار رقم ٩٠٧

(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل رقم ٦٤٦٨

فانظر كيف رأى الجنة التى عرضها السماوات والأرض وكيف مثلت على الحائط، وكيف تقدم إليها ليقطف منها عنقود عنب، وكيف رأى النار كذلك.

ومن عالم المثال ما أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، والحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: (**لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**) قال: مثل له يعقوب عليه السلام ينهاه[1] فكيف يرى يوسف يعقوب عليه السلام وهو بفلسطين؟ وكيف تمثل له والده وهو في بيت العزيز بمصر !!

والمقصود: أن المربي الكامل عارف بهذا المقام وخبير به، ولولا خشية الإطالة وأن الباب محرز لذكرت من قصص الصالحين في ذلك شيئ كثير .

قال الإمام الدهلوي "من لم يعرف عالم المثال لم تكتمل معرفته بعد.

وقد ذكر الامام الحافظ جلال الدين السيوطى فى الحاوى للفتاوى في (رسالة المنجلي في تطور الولي) من ذلك شيئا كثيرا.[2]

---

(١) أنظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ص ٥٢٣

(٢) قال السيوطي رحمه الله «وقد أثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الأجساد وعالم الأرواح سموه عالم المثال، وقالوا: هو ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح، وبنوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال، وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾ سورة مريم: آية ١٧ ، فتكون الروح الواحدة كروح جبريل

الصفة الحادية والخمسون (سبق الأحداث)

والمقصود: أن المربي الكامل يسبق الأحداث ويعلمها قبل وقوعها، وأن الآتي منها معلوم عنده، وليس بغريب ولا جديد عليه، وإن بدا منه عدم معرفتها فهذا لعلو ايوانه وشرف مقامه.

وقد يقول قائل: فما الفرق بينه وبين مدعي الولاية إن كانا مشتركين في كتمانها وعدم الإخبار بها؟

والجواب: أن عدم إخبار المربي الكامل عنها وكتمانها ناشئ عن معرفته بربه، وخشيته من الالتفات إلى حظوظ النفس والانقطاع، وخوفه على غيره من الافتتان به، وكلها مقاتل،

مثلا في وقت واحد مدبرة لشبحه الأصلي ولهذا الشبح المثالي، وينحل بهذا ما قد اشتهر نقله عن بعض الأئمة أنه سأل بعض الأكابر عن جسم جبريل عليه السلام، فقال: أين كان يذهب جسمه الأول الذي سد الأفق بأجنحته لما تراءى للنبي صلى الله عليه وسلم في صورته الأصلية عند إتيانه إليه في صورة دحية؟ وقد تكلف بعضهم الجواب عنه بأنه يجوز أن يقال: كان يندمج بعضه في بعض إلى أن يصغر حجمه، فيصير بقدر صورة دحية، ثم يعود ينبسط إلى أن يصير كهيئته الأولى، وما ذكره الصوفية أحسن، وهو أن يكون جسمه الأول بحاله لم يتغير، وقد أقام الله له شبحا آخر، وروحه تتصرف فيهما جميعا في وقت واحد، وكذلك الأنبياء، ولا بعد في ذلك؛ لأنه إذا جاز إحياء الموتى لهم وقلب العصا ثعبانا وأن يقدرهم الله على خلاف المعتاد في قطع المسافة البعيدة كما بين السماء والأرض في لحظة واحدة إلى غير ذلك من الخوارق، فلا يمتنع أن يخصهم بالتصرف في بدنين وأكثر من ذلك، وعلى هذا الأصل تخرج مسائل كثيرة وتنحل به إشكالات غير يسيرة، كقولهم: جنة عرضها السماوات والأرض، وهي فوق السماوات والأرض وسقفها عرش الرحمن، كيف أريها النبي صلى الله عليه وسلم في عرض الحائط حتى تقدم إليها في صلاته ليقتطف منها عنقودا على ما ورد به الحديث...» أنظر الحاوي للسيوطي رسالة المنجلي في تطور الولي ١/ ٢٥٦

فإذا رأيت من يتكلم بكل ماسمع ويخبر عن كل ما يرى فقد أصيبت مقاتله، قال أحدهم:

مـن كـان يـهـوى أن يـرى متصـدرا

ويـكـره لا أدري أصـيـبـت مقاتـلـه

وترى العارفين وقد شاهدوا الغيب عيانا مسبقا كما في عالم المثال وكتموه، فلما خرج إلى الوجود ما زادهم إلا إيمانا وتسليما.

وأما الدعي فلم يكن على هذا المستوى ساعة ظهور الحدث، فظهرت عليه أمارات المفاجأة، فتفاعل مع الحدث على حسبه جزعا وحزنا أو فرحا ونشوة.

وأما العامة فتراهم شديدي التأثر بهذا النوع من المعرفة، ولذلك يكثر فيه الأدعياء، وخاصة في مثل تلكم الأمور، والصغار من السالكين والعامة يفرحون بمن يخبرهم عن الغيبيات، ويجدونه الولي الفرد والقطب الجامع، وإن كان ما زال رضيعا لم تكمل معرفته بعد، وربما لم يرضع من ألبان المعرفة أصلا، وربما ظل في المهد صبيا إلى أن يموت، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثاني والعشرون: علو روح الشيخ وانطلاقها حال حياته وبعد انتقاله.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٢٣- صاحبُ الـروحِ العليةِ في المجالي
لـم تـغـبْ عـنـهُ ولـو بـيـن الـقـبـورِ

جاءت الإشارة في البيت السابق إلى الصفتين:

الثانية والخمسين، والثالثة والخمسين من صفات المربي الكامل وهي كالتالي:

الصفة الثانية والخمسون: (صاحب الروح العلية)

والمقصود: أن روح المربي روح علية مصاحبة للحضرة العلية، وقد ذم الله قوما ونفى عنهم صحبته فقال (**وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ**)[1] أي: لا يصحبون صحبة عناية وحفظ وكمال وشهود، فأثبت بذلك صحبة غيرهم ممن سبقت لهم منه الحسنى، فحدثني بربك عن تلكم الدرجة وهاتيكم المزية، وهي صحبة الله رب العالمين.

ولما كانت روح المربي عالية في سماء القرب امتازت بأنوار المصافاة وأسرار الوهب، ذلك أن المريد المبتدئ في أول مرة يفتح الله له بابا من المؤنسات كالرؤيا الصالحة، فتكون

(١) سورة الأنبياء آية ٤٣

منارات له على الدرب، ولا يزال يصقل روحه ويغذيها بألوان الذكر وصنوف الفكر وجلائل الشكر، حتى تطير في سماء القرب بلا حدود، وكم من قصص للعارفين في هذا المجال، وكم في الزوايا من خبايا.

وقد يسأل سائل ويقول: فلم لم يؤثر مثل ذلك عن أكابر الصحابة وهم أكمل الناس أرواحا بعد الأنبياء؟ والجواب على ذلك من وجوه:

أولاً: من قال أن مثل ذلك لم يؤثر عن الصحابة - رضي الله عنهم- وقد شاهدوا الملائكة يقاتلون إلى جوارهم يوم بدر، ومن المعلوم أنه لا تتحق رؤية الملائكة الذين هم أجسام نورانية إلا بكمال الروح وتمام المقام.

ثانياً: أن الصحابة كانوا أتم الناس معرفة بالله، فلم يكونوا كالصغار الذين يفرحون بتلك الأشياء ويرونها دلالة الهداية وأمارات الصلاح، فضلا عن نقلها إلى غيرهم متباهين بها بل كان همهم الأكبر هو تبليغ دين الله للعالمين، وإلا فإن مقام الصحبة مقام لا يُدرك.

ثالثاً: أن الله قيد حياتهم بالأسباب المادية حتى تتحقق القدوة بهم في سائر الأمور.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى تلكم الحقيقة كما مر بنا في حديث حنظلة كما في صحيح مسلم "**قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ**

وَسَلَّمَ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"

وقد أفاد الحديث أموراً عدة:

منها: أن الصحابة وصلوا إلى أعلى درجات الكشف والشهود، وهو رؤية الجنة والنار رأي العين.

ومنها: أن إقرار النبي صلى الله عليه وآله لهم بذلك دلالة على تحقق المقام عندهم، لأن مصافحة الملائكة لا تتحقق إلا بكمال الروح وتمامها.

ومنها: أن النبي علل عدم مداومتهم على هذا الحال بقوله: "ساعة وساعة" إشارة إلى أن حصول مصافحة الملائكة في الطرقات وعلى الفرش يشغلهم عما هو أولى من ذلك؟ وهو اليقظة في قتال الكافرين، ونقل دين الله إلى العالمين، فكان المقام يقتضي أن لا يحرم الصحابة من شهود الوصال، ولا يدومون عليه فيتركون النضال .

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وآله لم يأمرهم بالثبات على تلك الحال، ولكن اكتفى ببيان الجزاء في قوله "لو تدومون

لصافحتكم..." واختار لهم مقام (ساعة وساعة) أي: ساعة شهود وساعةٍ وجود فيتحقق بهما تمام الموعود.

رابعاً: أن الله قيد أرواحهم بقيود القدر، وخذ مثالا على ذلك حال عمر رضي الله عنه يوم نادى: ياسارية الجبل، فسمعه سارية على بعد مسافات عديدة وانتصر بأمر الله،[1]، فكان هذا من تمام روحه وكشفه، وتأمل حاله يوم أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسى، وهو عمر نفسه الذي رأى سارية عن بعد لم ير أبا لؤلؤة وهو خلفه في صلاة الفجر، فكان هذا من نفاذ قدره.

فتأمل كيف أطلق الله روحه كشفاً في قصة سارية، وأوقفها قدراً في قصة أبي لؤلؤة، **(وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)**[2]

ولعل من نافلة القول أن نؤكد على علو روح الشيخ وانطلاقها حال حيات الشيخ وبعد انتقاله، سيما وأنها من أكمل الأرواح وأنورها، وإذا كان القرآن أثبت بقاء أرواح الكافرين، فكيف بأرواح الهداة المهديين، وقد ذكر ابن القيم كلاما نفيساً في عمل الروح بعد موت صاحبها، فمن أراد الاستزادة فلينظرها في كتابه النفيس(الروح).

---

(١) خبر سارية هذا رواه البيهقي في كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث باب القول في كرامات الأولياء وفيه» عَنْ نَافِع ، عَن ابْن عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب، بَعَثَ جَيْشًا ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُدْعَى سَارِيَةَ قَالَ: فَبَيْنَا عُمَرُ يَخْطُبُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصِيحُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَر يَا سَارِيَةُ: الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، قَالَ: فَقَدِمَ رَسُولُ الْجَيْش ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا وَإِنَّ الصَّائحَ لَيَصِيحُ، يَا سَارِيَةُ: الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ: الْجَبَلَ، فَشَدَدْنَا ظُهُورَنَا بِالْجَبَلِ ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ، فَقِيلَ لِعُمَرَ: إِنَّكَ كُنْتَ تَصِيحُ بِذَلِكَ.

(٢) سورة الرعد آية ٨، ٩

الصفة الثالثة والخمسون وهي (مصاحبة المريد)

والشيخ المربي مصاحب لمريده صحبة دائمة، سواء في ذلك عالم الحس و عالم النفس وعالم البرزخ فهو في كل خبير بحاله ومقامه، والشيخ المربي يلبس المريد كلبس الثوب، وهذا القول هو موضع الإنكار لدى الكثير من العامة.

ولمزيد من التوضيح أقول مستعيناً بالله:

لقد تجاوز الناس الحد في الإنكار من جهتين:

أولاً: من جهة الانكار دون علم أو روية .

ثانياً: من جهة تعميمها على كل من تصدى للإرشاد والتربية.

فأما من أنكر على الاطلاق: فقد فهم أن الشيخ ملازم للمريد ملازمة الثوب الذي يدخل به الخلاء والذي لا ينزعه إلا ساعة إتيان أهله، وهذا خطأ وشطط، ولم يقل به أحد من القوم، ولكن غاية الأمر: أن الشيخ المربي صاحب روح علية تمكنه من متابعة مريده عن طريق الكشف، فهو في موضع نظره على الدوام، وهذا النوع من المتابعة هو من باب الكرامة الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

وأثبتن للأوليا الكرامة

ومن نفاها فانبذن كلامه

فبان بذلك أن العجيج والضجيج الذي شوش به المعترض لا وجه له.

وأما من عممها على كل من تصدى للارشاد والتربية فقد أبعد النجعة وأخطأ الطريق وخانه الهدف، فإن كثيرا من المريدين في العصور المتأخرة ينزلون أحوال الكمَّل من العارفين على أصاغر المبتدئين، وكل يريد أن يبلغ بشيخه العرش، ولذلك يجب كتمان مثل هذه الأخبار والأحوال عن العامة والجهال، حتى لا يفتتن بها الجاهل اعتراضا، والسالك على شيخه إنزالا واستحقاقا.

ومن هنا كانت صحبة الشيخ لمريده ولزومه هي من صفات المربي الكامل الذي كمل تخليصه وثبت تخصيصه، وليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه، والله الموفق والهادي إلي صراط مستقيم، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثالث والعشرون : طيب المعرفة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٢٤- إنـــهُ طـيـبُ الـمـعـانـي إذ تـفـوحُ
إنـــَـهُ مـســكٌ بـــدا بـيـــنَ الــعــطــورِ

جاءت الإشارة في البيت السابق إلى الصفتين: الرابعةَ والخمسين، والخامسة والخمسين من صفات المربي الكامل وهي كالتالي:

الصفة الرابعة والخمسون (طيب المعاني)

والمراد بطيب المعاني: الأثر المنبعث من تزكية المربي لمريديه، فإن التربية بمثابة الغسل الذي يحتوي الأعضاء ويعم جميع البدن، وهو الذي يعرف بالتخلية، ثم بعد ذلك يطيبه بخلوق المعاني الكريمة، وهي التي يقال لها التحلية

والشيخ صاحب أريحية في تربيته وطيب في تزكيته، وهذا هو الفارق بين المربي الذي اجتاز الوديان والفيافي، وبين الدعي الذي مازالت فيه بعض رعونات النفس، فإن أثر المربي في من حوله كالروائح الزكية التى تشم فتطرب منها الروح والأعضاء والمربي داع إلى الله بإذنه، فهو مأذون من الحضرة العلية ومرضي عنه من الحضرة النبوية، وليس كل الدعاة كذلك، فالشيخ المربي إن جلست إليه أفصحت الالفاظ عن المعاني، ونفذت إلى القلوب من أوسع الأبواب.

ووصف المربي بأنه (طيب المعاني) تفوح منه دلالتان:

الأولى: سمعته الحسنة ذات الرائحة الطيبة التي يبلغ مداها الآفاق، وكما أن الرائحة الطيبة يزداد عبقها كلما اقتربت منها، فكذلك المربي الكامل كلما اقتربت منه كلما تخلقت بطيب المعرفة.

والثانية: كلماته ومواعظه لها أثر طيب في نفوس المريدين، ومن ثم فهي الرائحة الزكية التي تجذب الناس إليها، وكلما مضى المريد على قوم كلما شموا طيبه وعرفوا أنه وقع على أطيب العطور وأغلاها.

ذلك: وأن كلام العارفين والمحبين ممزوج بالمحبة والقبول، فإذا تكلموا فاح مسك المعاني وأنصت الناس إليهم كأن على رؤسهم الطير، لأن كلامهم خرج بطيب المعرفة، وكل كلام يبرز فإنما عليه كسوة القلب الذي منه برز، وأما المتنطعون والأدعياء فمهما بلغوا في العلم لا يتجاوز كلامهم الآذان، لانه لم يخرج مطيبا بخلوق المتابعة والتزكية والإحسان.

الصفة الخامسة والخمسون (مسك العطور)

ذلك أن الشيخ المربي لا يقاس به من سواه، فهو كالمسك الذي هو أجود انواع العطور، وينبغي على المريد أن يعتقد في شيخه أنه الأجود كذلك حتى ينتفع به ومنه، ويعتقد الخير في الجميع، ولا يكون هذا الاعتقاد ناشئاً عن التعصب الأعمى، كأن يكون الشيخ على غير المستوى وينزله المريد منزلة القطب الجامع.

ومـع الاعـتـقـاد فـي الشيخ لا يمكن أبـدا تقليل غـيـره، فإن التفضيل الذي يؤدي إلى انتقاص الغير مذموم طبعا وشرعا، ويرحم الله البوصيري القائل:

وكـلـهـم مـن رسـول الله ملـتـمـسٌ

غـرفـاً مـن الـبـحـر أو رشـفـاً مـن الـديـم

وأهل الله جميعا على خير، ولكنهم مختلفون في كم العطاء وكيفه، كالغارف من البحر والراشف من الديم، وينبغي أن يحب المريد الأشياخ جميعا، لأنهم الدالون على طريق الله، والإشارات التي تهدي السائرين إليه.

والمربي الكامل يربي أبناءه ومريديه على محبة الصالحين ولا يذم أحدا ولا ينتقصه، ولا يلبس نفسه رداءً ليس له فيكون كالمتشبع بمالم يعط، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ"[١]

ولا تتحقق الصلة بالله تعالى إلا بتزكية النفوس وتخليتها من العوائق والعلائق، ولا يتحقق ذلك بملئ القلوب بالضغائن والكراهية والرعونات البشرية، والتي تؤدي أحيانا إلى التطاول بالسباب وتبادل الاتهامات من كلا الجانبين، وكأنها معركة بين أهل الدنيا وتنافس على نيل مكاسب فانية، ولذلك جاء النظم منصفا في كون المربي الكامل (مسك بين العطور)

---

(١) صحيح البخاري كتاب النكاح باب المتشبع بما لم ينل وما ينهى من افتخار الضرة رقم ٥٢١٩ وصحيح مسلم كتاب اللباس والزينة باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره رقم ٢١٣٠

وفي النهاية كلها روائح طيبة، والتفاضل بينهم ليس في النوع فهم مشتركون فيه، وإنما التفاضل في قيمة الطيب وغلاء سعره وصعوبة الحصول عليه، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله والحمد لله رب العالمين.

المجلس الرابع والعشرون : شراب العارفين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٢٥ - إنـــهُ الـكـافـورُ عـيـنٌ لـلـكـرام
فـجَّـروهـا بـالـهُـدى بـيـنَ الـحَـضـورِ

الصفة السادسة والخمسين وهي (ساقي الكافور)

والمقصود: أن المربي الكامل يدير على الحضور شراب الوصل، وإنما وصف بالكافور لطيب رائحته وسهولته وصفائه وشرف نسبته، والقوم يرمزون إلى الوصل بالشراب للذته وشدة الحاجة إليه، والشاربون هم الكرام المستحقون لتلك الضيافة، وأسند الضمير اليهم في فجروها للاشعار بأنهم كانوا سببا في دوران الشراب عليهم، وجيئ باللفظ (فجروها) إشارة إلى همة السالكين وقوتهم وصدقهم في نيل المطلوب، فكانوا كالذي فجر عين الكافور بنفسه، مع أن المفجر لها في الحقيقة هو الشيخ المربي.

ويستأنس للبيت السابق بقول الله تعالى (**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**)[1]

(١) سورة الإنسان آية ٦

ويستفاد من هذا عدة معان

أولاً : إن حديث القرآن عن الكأس والشراب فيه حجة للقوم في حديثهم عن الشراب وكئوسه، ومن لذة المعاني مايفوق لذة الشراب الحسي، ومن ذاق عرف، ومن ثم كان حديث العارفين عن الشراب والسكر، والمقصود: شراب الروح وسكرها في عالم الملكوت، قال أحدهم:

شـربنـا عـلـى ذكـر الـحـبـيـب مـدامـةً

سـكـرنـا بـهـا مـن قـبـل أن يـخـلـق الـكـرمُ

لـهـا الـبـدر كـأس وهـي شـمـس يديرها

هــلالٌ وكــم يـبـدو إذا مـزجـت نـجـمُ

ولــولا شـذاهـا مـا اهـتـديـت لحانها

ولــولا سـنـاهـا مـا تـصـورهـا الـوهـمُ

ولـم يُـبـق مـنـهـا الـدهـر غـيـر حُشاشة

كـأن خَـفـاهـا فـي صـدور الـنـهـى كتمُ

ثانيا : أن الأبرار من عباد الله هم أهل الصفاء والمستحقون لشراب الكافور في الآخرة، وهم المتفضل عليهم بشراب الوصل في الدنيا.

ثالثاً : أن الكافور رمز للرائحة الطيبة والصفاء الدائم والنكهة العجيبة التي ليس لها شبيه في شراب الدنيا، ومن ثم جيئ به هنا.

رابعاً : الضمير في كلمة (مزاجها) يعود على الكأس لا الشراب، وكلمة الكأس تذكر وتؤنث، وجيئ بها لتشمل الشاربين جميعا ذكورهم وإناثهم.

ولما كانت المرأة عرضة للتهمة والتهتك في حال سكرها وهيامها حجب الله عنها هذا النوع من اللذة حماية لها وصيانة، ولم يسمع عنهن في ذلك إلا نادرا.

خامساً : جملة (فجروها بالهدى) فيها احتراز من أن يكون تفجير العين تعديا وتجاوزا وقهرا، لأن لفظ التفجير فيه مبالغة وقوة، وهذه القوة تشعر بقوة الشيخ المربي من جهة، وبما ينبغي على السالك في سيره من القوة والعزيمة من جهة أخرى.

وأما قولهم:

فلا تلم السكران في حال سكره

فقد رفع التكليف في سكرنا عنا

فقد اعترض عليه من لا يعرف إشارات القوم ورموزهم وقال: إن الصوفية يقولون برفع التكليف، وراح يستشهد بأدلة في غير بابها.

والرد على ذلك: أن السكران الذي يغيب عقله عن الوجود هو في حكم المجنون ومرفوع عنه التكليف شرعا، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: "**رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى**

يستيقظ، وعن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق"

أو يكون المعنى: أننا في حال سكرنا وهيامنا بالمحبوب أصبحنا لا نجد كلفة للطاعة، فأصبحنا نجد لها لذة وجمالا، فقمنا بها حبا وتشريفا لا قهرا وتكليفا، وهذا هو مقام الكمل من عباد الله.

وبالجملة فإن شراب القوم لا يوصف، والمعاني لا تسعها المباني، وما لاح على ألسنة القوم فهو من باب تقريب الأحوال، والأحوال لا تسعها الأقوال بحال من الأحوال، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الخامس والعشرون: سقاة الركب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٢٦- زنجبيلُ الوصلِ في يوم التلاقي
قد سقوهُ الرَكبَ فاَهنأ بالسرورِ

أشار البيت السابق إلى الصفة السابعة والخمسين وهي (زنجبيل الوصل)

والمراد: أن الشيخ المربي يسقى الركب والسائرين معه زنجبيل الوصل، وهو شراب له مذاق خاص، ينعش القلب والوجدان، ويرقى بالروح إلى مقام الإحسان .

وقد يسأل سائل ويقول: مرة تذكر شراب الكافور ومرة تذكر شراب الزنجبيل فأيهما شراب المريد؟

والجواب: أن تعدد الشراب ونوعه على حسب المريد وهمته وحاله، والشيخ بإمكانه سقيا المريد بشتى صنوف الأشربة.

والكافور يختلف عن الزنجبيل والسلسبيل في طعمه ولونه، وهو كذلك في شراب الوصال، فمرة يشرب المريد شرابا فيه لذعة كشراب الزنجبيل، يحدو بالمريد إلى الهمة العالية، وربما شرب شرابا كالكافور انتشى منه فكان إشارة لما هو أغلى من شرابه وأعلى في محرابه.

وربما رمز بأصناف الأشربة إلى مقامات السالك وتدرجه في

الوصول إلى تلكم الأصناف، كالفقير الذي حصل على نوع من العصير يتناسب مع قدرته المادية، وكلما تحسنت ظروفه كان بإمكانه الحصول على ما هو أغلى ثمنا وأعلى جودة، وهكذا فقير السلوك فهو غير قادر على الوصول إلى الشراب الغالي والعالي، بل يحتاج إلى همة عالية وقدرة فائقة توصله إلى نيل ذلكم الشراب، وكالمريض الذي يحدد له الطبيب نوعا من الشراب ليكون دواء له فلا يقدر على تجاوزه لغيره، ولو تجاوزه لما تحقق الشفاء، ولو زاد من نسبة المقدر والمقرر لسبب له مضاعفات، غير أن شراب الوصل متفاوت في الحسن كمّاً وكيفا، ولا يشعر صاحب الشراب الأدني بأن هناك شرابا أعلى حتى يصل إليه، ذلك لأن شراب القوم من جنس شراب الجنة ونعيمها، ولا يعرف أهل الجنة أن نعيما أعظم مما هم عليه حتى ينتقلوا إليه، إذ لو عرفوه وهم في درجة أدنى لتكدر صفوهم، وهذا من رحمة الله ولطفه بهم، فكل واحد في الجنة يشعر أنه حاز الكمال المطلق حتى يرقى إلى ما هو أعلى، عندها يدرك النعيم الأرقى، ولا يزال يتدرج في النعيم حتى يصل إلى مقام رؤية الله تعالى، فعندها ينسى ما دونها من النعيم.

ولما كان اختلاف الشراب كماً وكنهاً ولوناً وطعماً ومذاقاً بحسب حال السالك ومقامه جيئ بهذه الأسماء المتعددة كالكافور والزنجبيل والسلسبيل للتفريق بين الأحوال والمقامات، وإلا فلا تعرف له مسميات مختلفة عند القوم.

وقد يسأل سائل فيقول: وهل يتبين للناظرين نوع شراب هذا المنتشي والتحقق من مقامه؟

والجواب: أن العامة لا يعرفون ذلك ولا يميزون بين حال السالك ومقامه، كالذي يرى كأساً دهاقا ولا يميز شرابها، ولكنهم مجمعون على أن هذا السالك على درجة، وأما كبار القوم فيحددون مقامه وشرابه، ويقفون على منسوب لذته ومقدار شربته.

هذا، وإن للمتقين في الجنة لأشربة أخرى تنهض الهمم وتقوى العزائم، قال الله تعالى (**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى**)[(١)]

وأما جنة الشهود في الدنيا فللمتقين فيها أنهار من ماء العرفان، غير آسن بحرمان ولا متغير بهجران، وأنهار من لبن المودة والمصافاة، لا تعكرها حموضه ولا تنقصها الموافاة، وأنهار من خمرة الشهود وجذبة الوجود، لا تفوقها لذة ولا يضعفها رقود، وأنهار من عسل مصفى من الهموم والأكدار، وما عند الله خير للأبرار، فاللهم أذقنا شراب االمصافاه، وحققنا بأسرار لا إله إلا الله، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة محمد آية ١٥

المجلس السادس والعشرون: رحيق العارفين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه،

قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٢٧ - من بُطونِ النحلِ يأتيك الشرابُ
حبذا المصنوع من وحيِ الغفورِ

أشار البيت السابق إلى الصفة الثامنة والخمسين وهي (ساقي الرحيق)

والمقصود: أن الشيخ المربي يسقي أحبابه من شراب المعاني المستقاة من نحل المعرفة، فشبه علوم العارف بما يخرج من بطون النحل لتنوعه، ولصعوبة الحصول عليه، ولجامع الشفاء في كل، فالنحل يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، وكذلك نحل المعرفة يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، وهذا أبلغ في وصف علوم العارف التي يتم بها شفاء القلوب والأرواح، وربما وجد شفاء الأبدان في أنواع العقاقير أو الأعشاب أو نحوها، أما شفاء القلوب والأرواح فلا يتحقق إلا على يد من ملك بطون النحل هذه، وقليل ماهم.

تأمل قول الله تعالى (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا

شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (١) تجد أنهما تطابقتا تماماً مع الشيخ المربي، وهذا من عدة جهات:

أولاً: أن الشيخ المربي يشبه النحل من جهة الوحي والإلهام، فكما أن النحل تصنع العسل بوحي الله وتطلب رزقها بأمر الله، فكذلك العارف يمضي بوحي الله، ويطير في سماء المعرفة، ويحلق بين أشجارها وعلومها، ويمضي وسط جبال الدين وأعمدة اليقين، فيأتي بالعلوم الصادقة والمعارف الصافية، فكلاهما ملهم، وكلاهما موحى اليه.

ثانياً: أن أجود أنواع العسل هو ما يخرج من بطن الملكة، وهذا يشبه أنواع المعرفة التي تخرج من كنوز الشيخ المربي.

ثالثاً: جيئ بلفظ (ربك) لما يحمله من معاني التربية والعناية، فناسب ربوبية النحل في مملكته، والمربي في مدرسته.

رابعاً: إتخاذ النحل الجبال والشجر والعروش بيوتا يشاركه فيها العارفون، فمنهم من يسكن الجبال والأحجار، ومنهم يعيش بين الأشجار، ومنهم من ينتقل بين العروش خارج الأمصار، ومن من لا يعبأ بليل ولا نهار، ولا يتأثر بسحاب ولا أمطار.

خامساً: الأمر للنحل بالأكل من كل الثمرات وإخراجها عسلا شافياً، هو نفسه الأمر للعارف بقطف ثمار العلوم والمعارف،

---

(١) سورة النحل الآيات ٦٨، ٦٩

وإخراجها للناس رحيقاً شافيا، أما أهل النفاق والريب فهم كالذباب الذي يقع على أسوء ما يرى، فيخرجها جرثومة تؤذي الأفراد والجماعات.

سادساً: السبل المذللة للنحل هي نفسها السبل المذللة للعارف، فالعارف يسير في أرض الله فيجدها مذللة له، وكأنها لا تقتصر على حمله فقط، بل تمضي به رخاء حيث أصاب.

سابعاً: وصف الله الخارج من بطون النحل بالشراب المختلف ألوانه، وذلك لتنوع الثمار التي امتصها، ومثله الشراب الذي يقدمه الشيخ للمريدين والطالبين، فهو مختلف ألوانه لتنوع معارفه وعلومه التي ورثها عن جملة من العارفين، ولذلك قالوا: إذا أراد الله للعارف بالفتح الأكبر ساهم كل ولي بأسراره فيه.

ثامناً: شراب النحل شفاء، وشراب العارفين شفاء، ومن شرب من شراب العارفين ولم ينتفع فكرر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**صَدَقَ اللَّه، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ.**"(١)

ويرحم الله من قال:

كم منحوا فقيراً من عذب الشراب
كم أعطوا ذليلا كم كشفوا الحجاب
كم ردوا لشارد في درب الصواب
كم داووا المجروح من جرح عُضال

---

(١) صحيح البخاري كتاب الطب باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى فيه شفاء للناس رقم ٥٦٨٤ ، وصحيح مسلم كتاب السلام باب التداوي بقي العسل رقم ٢٢١٧

تاسعاً: أن شراب النحل مقصود ومطلوب لذاته، ومثله الشيخ المربي، وكما أن عسل النحل عظيم القيمة في نفسه والنفع لغيره، فكذلك الشأن في المربي الكامل فهو عظيم القيمة في نفسه والنفع لغيره.

عاشراً: نلاحظ أن الآيتين اشتملتا على ثلاثة أوامر ربانية(اتخذي) و(كلي) و(فاسلكي) تنظم في طياتها خطوات مرضية في عالم النحل، وعالم الواصلين، وعالم السالكين، وفيها إشارات لطيفة دقيقة.

فأما قوله (اتخذي) فهو في عالم النحل: أمر بسكني الجبال والشجر والمعروشات، وفي عالم الواصلين: أمر بطلب المعرفة في عالم الجمادات والحيوانات وسائر الكائنات، وفي عالم السالكين: أمر باتخاذ بيوت الذل والانكسار والالتجاء إليه سبحانه في سائر الحالات.

وأما قوله (كلي) فهو في عالم النحل توسعة عليها في الأكل من كل الثمرات، وفي عالم الواصلين أمر بجلب الباقيات الصالحات، والمراد من الأمر بالأكل في حق الواصلين ليس هو التأكل الدنيوي، فالولي الحق عزيز النفس كريمها، وليس على قرآنه متأكلا، وفي عالم السالكين أمر بأكل الطيبات وعمل الصالحات والتلقي عن أهل الله الثقاة، فكلمهم ثمرات نافعات وخيرات جامعات.

وأما قوله (فاسلكي) فهو في عالم النحل أمر بسلوك دروب الحياة المذللة، وفي عالم الواصلين أمر بالتنقل في رياض الملكوت

المجملة، وفي عالم السالكين أمر بسلوك طريق القوم المؤملة.

وجاء فعل الأمر من كلمة السلوك يلمح بمشروعية إتخاذ الشيخ والطريقة، فهي السبيل المذللة إلى مرضاة رب العالمين، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.

وفصل بين الأوامر الثلاثة ب(ثم والفاء) تراخيا وتعقيبا، فعطف بين قوله (اتخذي)و(كلي) بثم إشارة إلى أن ثمرة الولاية لا تتحقق إلا بعد طول جهد، وجميل صبر، وعظيم مرابطة، وعطف بين (كُلي)و(اسلكي) بالفاء إشارة إلى أن السلوك الحق عقب الانتهاء من التلذذ بالمتع الفانية، فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب.

وقد يسأل سائل فيقول: لم لم يأت ترتيب الأوامر على النحو التالي: (إتخذي واسلكي وكلي) ليكون الأكل ثمرة للسلوك وليس العكس؟

والجواب: أن الأكل من الثمرة ليس هو المقصود لا في عالم النحل ولا في عالم السلوك، فالنحل يأكل ليخرج العسل، والمربي يأكل من المعارف ليجود باللطائف.

وجاء الأمر بالسلوك في وسط الأمرين: إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه السالك من الوسطية في الأكل وفي الأمر كله، فإن الكثرة في عالم السلوك مضرة، والمكثرون هم المقلون يوم القيامة، والله الموفق والهادي إلى صراط مستقيم، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس السابع والعشرون: شراب الهداية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٢٨ - سلسبيلُ المـاءِ من عيـنِ الهداية
والـشـــرابُ الـطـهـرُ ذاَ عـيـنُ الـطَـهـورِ

أشـار البيت السـابق إلـى الصفتين التاسعة والخمسين، والستين وهي كالتالي:

الصفة التاسعة والخمسون: (عين الهداية)

والمقصود: أن المربي الكامل هو عين الهداية وسلسبيل مائها، فهو ماءٌ سلسبيلٌ سهلٌ سلسال، يُسقاه المريد فتصح به مسيرته وتنار به سريرته، وهو في ذاته عين الهداية نفسها، فحين تصحبه لا ترى منه غير مألوف، ولا تقف منه على خلق مئوف، أقرب الناس شبها في عصره برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنه سند الزمان الذي عز في زمن قويت فيه أسانيد الجاهلية، فقلد الناس أهل الغواية والفساق، وتركوا طريق الأبرار والحذاق، فحين تبصر المربي تبصر السند القريب، فتروي بأعلى الأسانيد على الإطلاق، وتبصر شهادة التوحيد متجلية في سماء الشهود، فتتحقق بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتكون كالذي نطق بهما لأول مرة، وتذوق حلاوتها عن وجد لا فقد، (**فَمَن يُرِدِ اللّه أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ**

لِلْإِسْلَامِ)[1] إنه السلسبيل الذي ينزل على القلوب فيرويها، فإذا نزل عليها اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

إنه الماء المعين الذي تبعث به الروح وتقوم من رقدتها، فتسرع راكضة في طي الشهود، إنه ماء الهداية الذي يزيل يبس القلوب فيلينها فترق لجلال الله وجماله.

إنه ماء الهداية الذي يصيب القلب فيزيل أحجار الكبر والصلف والغرور، إنه ماء الهداية الذي يقطر في عين المريد فتبصر الحقيقة وتعود ممتلأة بدموع الوصل والخشية بعدما تعطل سيرها، وتنهمر بالعبرات بعدما جف ماؤها وقل عطاؤها.

إنه الشراب الذي يعيد للروح رونقها وللنفس طيبها، وللقلب صفاءه وللجسد بهاءه، إنه السلسبيل العذب الذي لا ينقطع مدده، ولا يتوقف عطاؤه.

الصفة الستون وهي (عين الطهور)

والمربي الكامل هو شراب الطهر، وعين الطهور التي يغتسل منها المريد، وينادَى: هذا مغتسل بارد وشراب، مغتسل يمحو عنه وسخ الذنوب، وشراب يزيل عنه عناء الدنيا وألم الحياة، فيرجع بعده أيوب الصبابة، وتتحقق بينهما النسبة والقرابة .

إنه العين الذي كلما أصابه غبار الغفلة اغترف غرفة بيده فتفتحت لها مسام وجهه فاستنار بقدرة الله، إنه العين الذي

(١) سورة الأنعام آية ١٢٥

ارتوى منه عللا بعد نهل، فعاد مفتول العضلات كثير العبرات، محملا بالباقيات الصالحات.

إنه شراب الطهور في الدنيا الذي إذا سقيه المريد كان له دواء وشفاء.

وكم للمعنويات غير المحسوسات من أثر في حياة النفس والروح، وكم لها من انتعاش ولذة تفوق اللذة الحسية والمتعة الجسدية، وهي المشار إليها في كلام القوم بقولهم: لو يعلم الملوك ما نحن فيه من اللذة لقاتلونا عليها بالسيوف.

وإذا أراد الله بالمريد خيرا عرفه بشيخه معرفة تعينه على صدق متابعته فتحققت نسبته، وقويت أرثومته، واشتدت همته، وصحت صحبته.

ومن اللطائف: أن عين السلسبيل، ومزاج الزنجبيل، وشراب الكافور، لم ترد في القرآن إلا في سورة الإنسان إشارة إلى شراب الإنسان وغذائه الروحي واحتياجه إليه كما الغذاء المادي، وجاءت في معرض الحديث عن الأبرار إغراء بالنعيم الأخروي، وجاءت باسماء مشروبات معروفة في الدنيا تعظيما لهذا الشراب الذي يشربه العامة هنا والخاصة في الخلود الأبدي.

وما قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة الإنسان في فجر يوم الجمعة إلا ليرسخ في أمته تلكم المعاني التى تحدو بها إلى مرضاة رب العالمين، فاللهم اسلك بنا سبيل الراشدين، واهدنا اليك يارب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثامن والعشرون: قوة العارف.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٢٩ - قبـل أنْ يـرتـدَّ مـنـكَ الـطـرفُ حلَّ
عــرشُ بـلـقـيـسٍ بـســاحـات الـصــدور

أشار البيت السابق إلى الصِفة الحادية والستين وهي: (عرش بلقيس بالقلب النفيس)

والمقصود: أن المربي الكامل أوتي من القوة ما يفوق قوة آصف الذي جاء بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف نبي الله سليمان عليه السلام، وهو قادر على الإتيان بما هو أعظم من ذلك، فما عرش بلقيس إلا رمزا لقوة العارف، وإلا فما يقوم به العارف من نقل عرش المعرفة إلى قلب مريده في أقل من لمح البصر أبلغ وأعجب.

وقد يقول سائل: كيف ينقل عرش المعرفة إلى قلب مريده بهذه السهولة؟ ولو كان الأمر كذلك لنقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عروش المعرفة إلى قلوب أصحابه، ونقلها من بعدهم إلى غيرهم، وما احتاجوا إلى الجد والرحلة في طلبه.

والجواب على ذلك: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نقل عروش المعرفة إلى قلوب بعض أصحابه، وخص بعضهم بذلك، ودليل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في

الصحيحين، يَقُولُ: " إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ، وَاللَّهِ الْمَوْعِدُ كُنْتُ رَجُلًا مِسْكِينًا أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَنْ يَبْسُطْ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي، فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ "[1]

والمتأمل لهذا الحديث يدرك أمورا ثلاثة:

الأول: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قال هذا في جمع من أصحابه، وإنما قاله لهؤلاء المرابطين في المسجد عنده، والذين صحبوه صحبة كاملة، فلم ينشغلوا بالأسواق والأموال، فلما تفرغوا للصحبة والمعرفة اختصهم النبي دون غيرهم، ولما كان أبو هريرة أنشط الحاضرين سارع ببسط ردائه، وهكذا تكون همة المريد واستفادته من شيخه وحضوره معه على الدوام، متمثلا قول أحدهم: واعلم بأن الرضا يختص من حضرا.

(١) صحيح البخاري كتاب العلم باب حفظ العلم رقم ١١٨ وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه رقم ٢٤٩٢

الثاني: أن العلوم التي حصلها أبـو هريرة من رسول الله صلى الله عليه وآله تفوق الحصر، ومنها علوم المعرفة، والتي أشار اليها بقوله **"حَفظْتُ منْ رَسُول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عَلَيْه وَسَلَّمَ وعَاءيْن، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُه قُطعَ هَذَا الْبُلْعُومُ"**[1]

وَقَالَ عَليٌّ رضي اللّٰهِ عنه: "حَدِّثُوا النَّاسَ بمَا يَعْرفُونَ أَتُحبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللّٰه وَرَسُولُهُ"[2] وقد بوّب الإمام البخاري لهذا الحديث بقوله: **(بَاب مَنْ خَصَّ بالْعلْم قَوْمًا دُونَ قَوْم كَرَاهيَةَ أَنْ لايَفْهَمُوا)** فدل ذلك على أهمية الاصطفاء والانتقاء في ذلك، فليس كل ما يعرف يقال، ولا كل ما يقال حضر رجاله إنها علوم المعرفة والأسرار التي ينبغي أن لا يعرفها الجميع، وقد تحملها أبوهريرة ولم يتحملها غيره.

الثالث: أن حمل علوم المعرفة أمر فوق طاقة الانسان، وهو أبلغ من نقل العرش الذي جاء في أقل من لمح البصر.

ذلك، وإن العارف ليخص من بين مريديه من يرآه أهلا لحمل الأمانة على النحو المطلوب، حتى إذا رأى العرش مستقرا في قلبه **(قَالَ هَذَا من فَضْل رَبِّي ليَبْلُوَني أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)**[3]

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم باب حفظ العلم رقم ١٢٠

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم رقم ١٢٧

(٣) سورة النمل آية ٤٠

ذلك، ومن اللطائف أن الهدهد ذم كل ما رآه في مملكة بلقيس إلا عرشها فمدحه بقوله (**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**)(١)

ولذلك ما طلب سليمان من الملأ شيئا إلا العرش، لأنه رمز الجلال والهيبة، وهو موضع نظر عشاق الجلال، فلما جيئ به ونكروه لها لم تعرفه، لأنه نُكِّر بالمعرفة وعُرِّف بالنكرة، فنقل العرش من أرضها إلى أرضه، وكان مجيؤه بعرشها إشارة إلى زوال الجاه والسلطان من قلبها، فلما استبدله بعرش المعرفة قالت: (**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)(٢)

ومن إشارات القصة: أن المربي العارف قادر على الاتيان بعرش لا إله إلا الله حتى يستقر في صدر مريده، فيثمر أشجارا يستظل الراكب تحتها، ويأكل من ثمارها إلى ما شاء الله، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة النمل آية ٢٣

(٢) سورة النمل آية ٤٤

المجلس التاسع والعشرون: النجاة الأبدية والوسيلة السرمدية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٣٠ - قد خطبتَ الوصلَ إن تبغ النجاة
مـهـرُهُ بـيـن الـورى أغَـلـى الـمـهـورِ

وقد أشار البيت السابق إلى الصفتين الثانية والستين، والثالثة والستين، وهما آخر صفتين في النظم، وهما كالتالي:

الصفة الثانية والستون: وهي (طريق النجاة)

والمقصود: أن المربي الكامل هو النجاة الأبدية والوسيلة السرمدية، والبحث عنه يحتاج الى همة ومدد، همة من المريد، ومدد من المولى سبحانه، وإذا كانت خطبة النساء في الدنيا تحتاج إلى بحث وتؤدة وروية، فإن العارف كذلك يحتاج إلى طول بحث وتأن في الاختيار، ومن لم يسعه الاختيار ولم يجد الشيخ المربي الكامل فليسأل الله تعالى الدلالة والهداية إليه.

وقد كان في الماضي يشد السالك رحله إلى ملاقاة شيخه ولو كان في أقصى الارض، لأن مقصوده الله ورسوله، ولسان حاله يقول: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده، وكان العارف ربما رد المريد لعلمه أنه ليس تبعا له، أو أن زمانه لم

يحن بعد، وربما قبله بعدما حل أوانه وجاء زمانه، وكم في الزوايا من خبايا.

وليس بعيب أن يسلك أهل قطر طريقا واحدة، شريطة أن يكون ذلكم الشيخ من أهل التربية والسلوك، وقد يتحقق ذلك ولا حرج على فضل الله.

وربما شاع في بعض البلاد أن بلدة كاملة تسلك طريقا معينة، وليس في ذلك عيب بل، هو مما يعين جماعتهم على الالتزام بـالأوراد، والمناصحة والتعاون على البر والتقوى، ولكن التعصب المذموم لطريقة معينة ولشيخ بعينه هو المذموم، فقد يحدث أن يعتقد الأدعياء أن طريقتهم هي الناجية، وأنه لا تجوز مخالفتها وتعديها إلى غيرها، وكأن الطريق صارت حكرا على شيخهم، فهذا الذي حذر منه الصالحون وكرهه العارفون.

وينبغي ألا يُنبذ المريدُ المخالف الذي اتخذ شيخا آخر غير أهل محلته -لا كما يفعله الجهلة- فإن الأدعياء أشد ضررا من غيرهم، ويرحم الله الإمام رائد العشيرة المحمدية حين قال:

أخـــذت أرمــــم الـبـيـت الـمـعـلى
لـيـبـقـى لـلـتـصـوف ثــم بـيـتُ
وقـــد عـانـيـت أصـنـاف الـبـلايـا
وعـمـري طــول عـمـري مـا وهـيـتُ

إلى أن قال:

وشـــــر عـــــــدوه أهـــــلـــــوه مــمـــا

بـــه عــشـــت الـــعـــجـــائـــب واكـــتـــويـــتُ

وطريق الوصل هو طريق النجاة، ومهما كان محوطا بالصعاب والمعوقات فيكفيه أن اسمه الوصل، وأن صاحبه موصول بالله، وأن نهايته الفلاح والسلامة من تمرد النفس وتسلطها.

وقد أقسم المولى على فلاح المتزكي وخيبة المتدسي فقال **(وَنَفْس وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)** [1].

الصفة الثالثة والستون: وهي (صاحب المهر الغالي)

وهذه هي الصفة الأخيرة من صفات المربي في هذا النظم.

ومعنى غلاء مهره: أن صحبته لا تتحقق إلا ببيع الروح بيعا محقا، إذ ليس في طريقه دعة أو ترف، وإنما هو طريق الكمل الذي لا اعوجاج فيه، وهو طريق الاستقامة المشار اليه في قول الله **(وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا)** [2]

والعجيب: أن ذلكم المهر لا ينتفع به الشيخ المربي، وإنما يعود على المريد ثمرة وفلاحا، والمربي هو بمثابة المشرف على ذلك، أما القابض الحق فهو المولى سبحانه قال تعالى

---

(١) سورة الشمس الآيات ٧، ٨، ٩، ١٠

(٢) سورة الجن آية ١٦

(إِنَّ اللّٰه اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) [1]

ومن إشراقات الآية: أن المؤمنين يقاتلون أعداءهم ونفوسهم، فأما أعداءهم فَيَقْتُلُونَهم في أرض المعركة، وأما نفوسهم فيقتلونها في الأحوال المربكة، وَإن قتلوا من أعدائهم فهم شهداء الجهاد، وَإن قتلوا من محبوبهم فهم شهداء الوداد، ولا ينتظم جهاد الأعداء إلا تحت راية قائد عظيم، كما لا تنتظم تزكية النفوس إلا تحت راية مرب كريم.

ولله در ابن الفارض حين نطق ببعض أسرار المعاني في جلسة البيع والمبايعة، فقال في لطائف من النظم:

ظهرت بسر الحب من بدء نشأتي
فكلي إلي ليلي أسير بفطرتي
فحالي بها يحلو وإن لام عازلي
ففي عزله يبدو جمال أحبتي
ولا زلت في حي الهوى متنقلاً
إلي أن بدا سر الغرام بمهجتي
على عرش قلبي بالجمال قد استوى
فبايعته طوعا لحكم صبابتي
وهمت بها لمّا فهمت رموزها
فبعت لها روحي وكلّي بجملتي

(١) سورة التوبة آية ١١١

قالت تبيع الروح وهي عزيزة
تنازع فيها كلَّ وقتٍ ولحظةِ
إن رُمت بيع الروح بيعا محققا
كن صابراً للحكم وارضى ببلوتي
ولما رأت ذللي وصبري لأمرها
وأن سبيل العشق ديني وملتي
أشارت وقالت لا تخف أنت عبدنا
بأعذب لفظ بين لطف ورقةِ

وبالجملة: فإن المربي الكامل هو باب الله في عباده، وهو مجلى كل ثناء في القرآن على المؤمنين والمتقين والمحسنين والصادقين، وهو أحد الكاملين المشار إليهم في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم "كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ" وأنه سبيل الوصول الى حضرة الله، وأنه بحيرة المريد التى يغتسل منها في جنة الولي الحميد، وأنه هبة الله في عباده ومصدر مدده ووداده، وأن حاله محجوب عن أهل الإنكار، فهو من الغيوب التى اختص بها أهل الأسرار، وفي هذا يقول قائلهم:

حال الأحبة محجب عن منكرٍ
لفيض الإله متوجا لعبادِ
فاقصد حماهم طالبا رضاهموا
هم الحياة معينُها والزادِ

فـــلا حـــيـــاة بـــعـــد حـــيـــاتـــهـــم تُـــرجـــى

وديـــــارهـــــم اكـــــرم بـــهـــا مـــــن وادي

والأبيات السابقة من قصيدة جليلة لأهل الحب والهوى، أصابت المحز وطبقت المفصل، وكم عبر أهل الحب عن مكنون قلوبهم، وما غمرها من الحب والهيام، وصاغوه في قوالب من الجلال والجمال فلله درهم وهبنا يارب مثلهم مثلهم، ولله در ألسنة نطقت شوقا، وعيون دمعت رقا، وأرواح هامت صدقا، وقلوب ودت حقا، وأتركك أخي القارئ تعيش مع مزيد من أبيات القصيدة لتقف على مزيد من آيات الصدق ولسان الحق، وحقائق الوهب، وجلال الوجهة.

حـبـيـب قـلـبـي يـطـول فـيـــك سُـهـادي

والـــشـــوق عـــانـق بـالـــجـوى والـــوادي

لـم أســـلُ يـومـا عـــن أحـبـايـا فـإنـهـم

شـمـس الـــمـعـارف إنـجـلـت بـفـؤادي

فـيـا حـــادي الـــركـب عـــرج نـحـو حيهِّم

فـلـقـيـاهـم تـــالله فـــيـه كـــلُّ أعـــيـــادي

أرى الـــســعـي حـقـا فـــي رحـابـهـم

شـــفـــاء ســقـم لـــي فـاســعـى ونـــادي

فـفـي حـبـهـم كـــان الـــعـنـاء مطيتي

وهـجـر الـمـضـاجـع حـتـي نـفـدنـا عـوادي

هـم نـصـب عـيـنـي مـــادام بـالـحـيـاة نفس

بـيـن الـضـلـوع وفـــي مـكـنـون أكـبـادي

مـزقـت أثـــواب الـــحـيـاة حــال نشوتي
ورددت آهــــــات ســــرت بــفـــؤادي
والـــروح قـد سـبـحـت فـــي بـحـر حبهم
نـــورا تـجـلـى فـكـان مـــحـو الـصـادي
فـــأدركـــت مـــا هـم عـلـيـه مـــن الـوفـا
وغـــدوت مـــســـرورا بـنـيـل مــــرادي
فـــي جـمـعـهـم مـجـلـى لـكـــل سـريـرة
فـالـسُـكـر فـيـهـم نـشـوتـي وشـهـادي
لله جـــودوا عـلـي بـنـظـرة يـــا ســاداتـي
يُـشـفـى بـهـا الـصـب الـمـعـنـى الـــرادي
فـــي هــواكـم الـقـلـب يـخـشـع والـعـين
تـدمـع والــــروح تـنـزع وهـــذا مـــرادي
فـهـواكـم خـفـقـان قـلـبـي جـلـوتـه فنحول
جـسـمـي لــنـزع روحـــي عـيـن مــــرادي
أحـبـبـت فـيـكـم كـــلَّ شـــيء ســادتـي
حـتـى ســلـوت الــكــلَّ مـــن روادي
فـذقـت شـهـد الـرضـا فـي حـان صفوكم
والـــحـــال رقَّ لــشـامـخ الأطــــوادِ
وشـمـوس مـعـرفـة سـرت فـــي هيكلي
فـحـق يـقـيـنـي مـثـبـتـا إشـــهـادي

فـحـال الأحـبـة مـحـجـب عـن منكر
لـفـيـض الإلـه مـتـوجـاً لـلـعـبـادي
أقـصـد حـمـاهـم طـالـبـا رضـاهـم
فـهـم الـحـيـاة بـعـيـنـهـا والـزادِ
لا حـيـاة بـعـد حـيـاتـهـم تـرجـى
وديـارهـم أكـرم بـهـا مـن وادي
بـبـاب عـزهـم قـف مـتـذلـلا
مُـسـدل الـطـرف راعـيـا لـلـودادِ
فـهـم غـيـاث لـلـضـعـيـف ونـجـدة
وسـفـيـنـة تـنـجـي فـي يـوم الـمـيـعـادِ
سـفـن الـنـجـاة لـكـل مـن جـاء طالبا
يـرجـو الـحـمـى مـسـتـشـفـعـا بـالـهـادي
فـبـحـقـهـم يـا ربـي كـن عـونـا لـنـا
وحـصـنـا مـن الآفـات والـحـسـادِ
ويـا ربـي مـتـعـنـا بـهـم وبـآلـهـم
فـهـم الـهُـداة بـل كـعـبـة الـقـصـادِ

وبهذا يكون قد انتهى القسم الأول من النظم وهو وصف المربي الكامل، ويليه القسم الثاني وهو الوصايا والدعوات، نسأل الله تعالى أن يرزقنا الصدق في محبته، والاستقامة على طريقته وملته، إنه جواد كريم، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثلاثون: همة السالك.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومنوالاه،
قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٣١- عجلِ السيرَ وسرْ باللّهِ واغدُ
لا تكن ميتا بأجداثِ القبورِ

ومن هنا يبدأ القسم الثاني من القصيدة، والذي ينتظم ستة عشر بيتا، جمع في الخمسة الأولى منها عشرا من الوصايا، وفي البيتين التاليين خمساً من ثمرات الوصل، وفي بقيتها باقة من الدعوات.

وقد أشار البيت السابق إلى أربع وصايا:

الوصية الأولى: تعجيل السير.

والمراد به الحركة المتتالية في السير وعدم الركود والتوقف، قال موسى عليه السلام (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) [1] ذلك أن همة السالك تقرب المأمول وتحقق الوصول، وتشمل كل ما يأخذ ويذر، والهمة في مقام التخلية تعني: السرعة في التوبة من كل ما من شأنه الإعاقة عن السير، والعمل على محو ظلمة الباطن، وفي مقام التحلية تعني: التعجيل بتحلية الباطن بكل ما من شأنه إنارته، كالتخلق بالسنيات وتحصيل الباقيات الصالحات.

---

(١) سورة طه ٨٤

والهمة في العبادات المحافظة عليها، والزيادة بالنوافل بحسبها، ففي الصلاة الإتيان بالسنن كاملة مع قيام الليل، والاكثار من تلاوة القرآن والتدبر، وفي الزكاة إخراجها لمستحقيها في وقتها بتمامها، والزيادة عليها بالصدقات المتتابعة، وفي الصيام صيام المفروض والمسنون، وفي الحج الإتيان به على النحو المطلوب، مع مراعاة الاعمال الباطنة في جميع العبادات، والمراد بالأعمال الباطنة: هو أن لا تقتصر على أعمال الظاهر، بل لا بد أن تضاف إليها الأعمال الباطنة وهي أعمال القلوب والعلم بطريق الآخرة، وممن توسع في بيان هذه الأعمال حجة الاسلام الغزالي في الإحياء وهو مبسوط هناك.

ذلك أن المجيئ بالعبادات على هذا النحو مما يفتح الباب أمام الفضاء الرباني الفسيح الذي يحدو بالسائر نحو الوصول إلى مرضاة رب العالمين .

والهمة في المعاملات: السعي الحثيث في قضاء الحوائج، والالتزام بالحق والصدق، والتخلق بالاخلاق الحسنة، ومراعاة الله في عباده.

الوصية الثانية : السير بالله.

والمراد بها: طلب المعية من الله، فالسالك محتاج إليها ومريدها، وبدونها لن يصل، لأن الشيطان لن يدعه يرحل بسلام، وطلب الاستعانة بالله في الأمر كله، والتحقق بمقامي

إيـاك نعبد وإيـاك نستعين، واسـتحضـار الإخـلاص والنية الصالحة، فإنما الأعمال بالنيات.

هذا، ومن معاني السير بالله ترك ما سواه، والإقبال عليه بدون نفس وهوى، ومخالفة طريق السوى.

ومن معاني السير بالله: أن يمضي السائر به فيه له، فيخلع نعلي الأثرة والاستكبار، ويحرم بلباس الذل والانكسار، ويلبي بتلبية الصادقين الأبرار، ويرحل بمطية المصطفين الأخيار.

الوصية الثالثة : الغدو إليه.

والمراد بالغدو إلى الله: الذهاب إليه مبكرا في وقت يعز فيه الإقبال عليه، كالغادي إلى صلاة الغداة والناس نيام، ومن استحضر هذا المعنى بادر بالإقبال عليه سبحانه

واعلم أخـي: أن الغدو لا يتوقف على حركة الظاهر، بل يشمل حركة الباطن، فربما كان جليسك أنيسك ولكنه غاد في ملك الله، وغدوُ القلب روحه ورواحه، وغدوُ الروح سياحتها وسباحتها، وغدوُ العقل نهمه وشغفه.

وقد طلب النبي صلي الله عليه وآله وسلم منا الاستعانة بالغدوة والروحة فانها أسباب الوصل فقال:

"واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلجة "[1]

وكما أن هذه الأوقات سبب في قطع المسافات في سفر الدنيا، فإنها سبب في قطع المسافات في سفر الآخرة.

(١) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب الدين يسر رقم ٩٣

وقد أبان النبي صلى الله عليه وآله جزاء الغادي إلى بيوت الله فقال: "**من غدا إلى المسجد وراح، أعدَّ الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح**"[١] فالله الله في الغدو إليه، فإنه نعم المعين والسبيل إليه.

الوصية الرابعة: اليقظة وعدم الغفلة.

فلا يكن المريد ميتا كأصحاب القبور، قال الله تعالى (**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ**)[٢] وقال (**وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ**)[٣]

وأهل الغفلة محجوبون عن الله، وكلما اشتدت ظلمة القلب كلما بعدت الشقة ووعرت الطريق.

والغافل بليد العقل والقلب والروح، وغفلة العقل عن الفكر قيده وانحصاره ووثاقه، وغفلة القلب عن الذكر قفله وغلفه وطبعه، وغفلة الروح عن الشهود حجابها وكثافتها وظلمتها، قال الله تعالى في ذم الغافلين (**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ**

(١) صحيح البخاري كتاب الأذان باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح رقم ٦٦٢ وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب المشي الى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات رقم ٦٦٩

(٢) سورة الأنعاماً آية ٣٦

(٣) سورة الأعراف آية ٢٠٥

بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [1] إشارة إلى أن الذي لا يستخدم جوارحه فيما وضعت له هو غافل عن مراد الله ومعطل لهبات الله.

وكثرة النوم بدون حاجة غفلة عن الله، والتعلق بالمعاصي غفلة عن الله، ومخالطة الغافلين غفلة عن الله، وكلها تحتاج إلى يقظة وحياة من سبات، ومن أجمل ما قيل في ذلك شعرا قول أحد الهداة:

إنتبه من كل نوم أغفلك
واخش ربا بالعطايا جملك
تابع المختار واسلك نهجه
فهو نور من مشى فيه سلك

وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة الأعراف آية ١٧٩

المجلس الواحد والثلاثون: خدمة الروح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٣٢- واسقِ روحَكَ من شرابِ الشيخِ وامضِ
فِي سماءِ القربِ منَ غيرَ العثورِ

وجاءت الاشارة في البيت السابق إلى الوصيتين: الخامسة والسادسة وهما كالتالى:

الوصية الخامسة: (سقاية الروح)

والمقصود: أن على المريد أن يسقي روحه من الشراب الصافي الذي يقدمه الشيخ، وأن لا يقصر أبدا في خدمة روحه سقاية ورفادة، فهي المعول عليه عند القوم، قال أحدهم:

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته
أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على الروح فاستكمل فضائلها
فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

واعلم أخي: أن أسرار الروح وريها ونشوتها مما أجمع عليه القوم وإن أنكره المنكرون، فللروح شراب من الكلمة، وشراب من النظرة، وشراب من الابتسامة، وشراب من الأحوال، وشراب من الحركة والسكون، وغير ذلك مما ذاقه الشاربون.

وما تغنِّي العارفين وطربُ أرواحهم وسبوحها في العالم العلوي إلا لأنهم ارتووا حتى الثمالة، وفي هذا يقول قائلهم:

شَـرِبـتُ كَـأسـيـنِ كَـأسـاً مِـن مَـحَـبّـتَـك
وَكـأسَ صَـرف عَـلَـى مَـصـروف أدنـانـي

والمريد الصادق كالإناء الذي تصب فيه المعارف واللطائف، وما يزال يتدرج في سلم الكمال حتى يصل إلى شراب القرب والمصافاة، وكلما ازداد تعلقاً بشيخه وأحواله كلما تمت سقايته حتى يرتقى إلى مقام الشهود القلبي، وهو عدم غيبة شيخه عنه مهما بعدت الاقطار والبلدان، وفي هذا يقول قائلهم:

عَـيْـنِـي لِـغَـيْـرِ جَـمـالِـكُـمْ لا تَـنْـظُـرُ
وَسِـوَاكُـمُ فِـي خَـاطِـرِي لاَ يَـخْـطُـرُ
فَـإذا نَـطَـقْـتُ فَـفِـي حَـدِيـثِ جَـمـالِـكُـم
وإذَا سَـكَـتُّ فَـفِـيـكُـمُ أَتَـفَـكَّـرُ
حُـبِّـي لَـكُـمْ طَـبْـعٌ بِـدون تَـكَـلّـف
وَالـطَّـبْـعُ فِـي الإنْـسَـانِ لاَ يَـتَـغَـيَّـرُ
صَـبَّـرتُ قَـلْـبِـي عَـنْـكُـمُ فَـأجَـابَـنِـي
لاَ صَـبْـرَ لِـي لاَ صَـبْـرَ لِـي لاَ أَصْـبِـرُ
لاَ صَـبْـرَ لِـي حَـتَّـى يَـرَاكُـمُ نَـاظِـرِي
وَعَـلَـى مَـحَـبّـتِـكُـمْ أَمُـوتُ وَأُحْـشَـرُ

الوصية السادسة: (المضي في سماء القرب)

والمراد بالمضي في سماء القرب: إلتزام الأدب مع الشيخ حال حضوره وغيبته.

وقد مر قبل ذلك ذكر صحبة الشيخ للمريد ومعرفته بحاله، والحديث هنا عن أدب المريد مع شيخه.

والمريد الكامل هو من يصحب شيخه متأدبا معه بأدب الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ذلك أن الشيخ المربي يقوم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في التربية والتزكية.

وقد أجمع العارفون أن الطريق إلى الله أدب كله، ومن حرم الأدب حرم الخير كله.

والأدب مع الشيخ يقتضي أن يكون المريد صادقا في محبته وخدمته وطاعته، وأن يعتقد كماله وتمام أهليته، لئلا ينصرف قلبه إلى غيره، وأن يصبر على تربيته، وأن لا يعترض عليه، فإن الاعتراض يضعف الثقة فيه، ويحجب عنه خيرا كثيرا كما حصل في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وأن يعظمه ويحفظ حرمته حاضرا وغائبا، وأن لا يتمنى منزلة فوق منزلته، وأن لا يفعل شيئاً بدون إذنه، وأن لا ينقطع عنه لئلا ينقطع وصله ومدده، وأن يلزم السكينة والوقار في مجلسه، وأن لا يتكلم بحضرته إلا إذا أذن له، وأن لا يقطع كلامه، وأن يكون الاستماع أحب إليه من الحديث عنده، وأن لا ينقل للناس

من كلامه إلا بقدر عقولهم، وأن لا يمشي امامه ولا يقوم قبله، وأن لا يقوم مقامه، إلى غير ذلك من الآداب المطولة في كتب القوم.

وعلى المريد المضي بدون تعثر، والمراد بالتعثر: تعثر الظاهر والباطن، تعثر الظاهر بخروجه عن الطاعة، وتعثر الباطن بانزوائه عن المحبة والاخلاص، وكلما ازدادت المحبة في قلب المريد استقام ظاهره وكلما ازداد الاخلاص استقام باطنه، نسأل الله تعالى أن ينور ظاهرنا وباطننا إنه على ما يشاء قدير، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثاني والثلاثون: منظومة السلوك للتلمساني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه،

قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٣٣- واغـنـم الآدابَ قــولَ التلمساني

فــي الَســلوكِ الـحـقِ نــورٌ فــوق نــورِ

الوصية السابعة وهي اغتَنام وصايَا الإمام أبو مدين الغوث شعيب التلمساني.

وهي التي تسمى بنظم السلوك، وهي غنية بالآداب التي ينبغي مراعاتها لكل مريد سالك.

وجاءت تلكم الوصية بعدما سبقتها الوصية بالالتزام بآداب القرب، والمشار إليها بقوله (وامضي في سماء القرب من غير العثور).

وأما قصيدة الإمام التلمساني فهي غنية بالآداب والأسرار، وهي بحق نور فوق نور، ولولا خشية الإطالة لتوقفنا عند أبياتها لما لها من أهمية، ولكن نكتفي بذكرها لتعم بركتها سطور المحبة، ويفوح من حروفها أريج المودة، ويستنار بكلماتها في طريق المعرفة، قال رحمه الله:

مـا لــذة الـعيش إلا صـحبـة الـفـقـرا

هـم الـسلاطيـن و الـسـادات والأمـــرا

فاصحبهموا وتأدب في مجالسهم
وخل حظك مهما قدموك ورا

واستغنم الوقت واحضر دائما معهم
واعلم بأن الرضا يختص من حضرا

ولازم الصمت إلا إن سئلت فقل
لا علم عندي وكن بالجهل مستترا

ولا تَرَ العيب إلا فيك معتقداً
عيباً بدا بيِّناً لكنه استترا

وحط رأسك واستغفر بلا سبب
وقف على قدم الإنصاف معتذرا

وإن بدا منك عيب فاعتذر وأقم
وجه اعتذارك عما فيك منك جرى

وقل عبيدكموا أولى بصفحكموا
فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقرا

هم بالتفضل أولى وهو شيمتهم
فلا تخف دركا منهم ولا ضررا

وبالتغني على الإخوان جد أبداً
حساً ومعنى وغض الطرف إن عثرا

وراقـــب الـشـيـخ فــي أحــوالــه فعسى

يـــرى عــلـيك مـــن استحسانه أثـــرا

وقَــــدِّمِ الــجِـدِّ وانـهـض عـنـد خدمته

عَسـاه يـرضـى وحــاذر أن تـكـن ضجرا

فـفـي رضـــاه رضـــا الـــبــاري وطاعته

يــرضـى عـلـيك فـكـن مــن تـركـه حـذرا

واعـــلـم بـــأن طـــريـق الـــقـوم دارســـة

وحـــال مــن يـدعـيـهـا الـيـوم كيف تــرى

مـــتـى أراهـــــم وأنـــــى لـــي بـــرؤيـتـهـم

أو تـسـمـع الأذن مـنـي عـنـهـموا خـبـرا

مـــن لـــي وأنـــى لـمـثـلـي أن يزاحمهم

عــلـى مـــــوارد لــم آلـــف بــهـا كـــدرا

أحـــبــهــم وأداريــــهــــم وأوثــــرهــــم

بـمـهـجتي وخـصـوصـا مــنـهـم نـفـرا

قــوم كــرام الـســجـايا حـيـث مـا نـزلـوا

يـبـقـى الـمـكـــان عـلـى آثــارهـم عطرا

يـهـدي الـتـصـوف مـن أخـلاقـهـم طرفا

حـســن الـتـألـف مـنـهـم راقـنـي نـظـرا

هـم أهـل ودي وأحـبـابـي الـذيـن همـوا
ممـــن يـجـر ذيـــول الـعـــز مفتخـرا
لا زال شـمـلـي بـهـم فـي الله مجتمعا
وذنـبـنـــا فـيــه مـغـــفـورا ومغـتـفرا
ثـم الـصـلاة عـلـى المـخـتـار سيدنـا
محـمـــد خـيـــر مـن أوفـــى ومـن نـذرا

إنه نظم فائق ومشرب رائق، جمع في حياضه عذب الوصايا وشهد الكلمات، أمسكت حروفه بأكواب وأباريق وكأس من معين، إنها وصايا غالية جامعة، ووصفة طبية ناجعة، وهمعة روحية نافعة، وتبر مسبوك من خزائن الملوك، وتأديبا للمريد بأدب السلوك، فهي على وجازتها جمعت فأوعت، وكفت وأغنت، لا يمحوها الدهر ولا تبليها الأيام، وستظل نبراسا يمضي بالسالكين إلى الأمام، نسأل الله تعالى أن يمضي بنا إلى رضوان قدسه، محمولين على نجائب أنسه، حتى نتلقى من سماء معرفته، إنه جواد كريم، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثالث والثلاثون: حفظ العهد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٣٤ - واحـفـظ الـعـهـدَ ولا تـذبُـل وتـأفُـل

أو تــكُ الـعـرجـونَ فـي ذيـلِ الـشـهـورِ

وجاءت الاشارة في البيت السابق إلى الوصيتين الثامنة والتاسعة وهما كالتالي:

الوصية الثامنة (حفظ العهد)

والمراد بالعهد: مايسميه أهل الطريق بالبيعة أو القبضة أو الطريقة، وكلها بمعنى واحد، أو هو العهد الذي قطعه الشيخ على المريد على السير في مرضاة الله، ويمتاز هذا العهد بسنده المتصل، وبسلسلته المباركة التي تنتظم في سلكها حلقات النور المتصلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والبيعة أو القبضة أو العهد لها سند من الشرع، قال الله تعالى: **(إنَّ الَّذينَ يُبَايعُونَكَ إنَّمَا يُبَايعُونَ اللّه يَدُ اللّه فَوْقَ أَيْديهِمْ فَمَن نَكَثَ فَإنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسه وَمَنْ أَوْفَى بمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّه فَسَيُؤْتيه أَجْرًا عَظيمًا)**، [1] وقال مادحا أصحاب بيعة الرضوان **(لقَدْ رَضيَ اللّه عَنِ الْمُؤْمنينَ إذْ يُبَايعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَة فَعَلمَ مَا في قُلُوبهِمْ فَأَنزَلَ السَّكينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَريبًا)** [2]

(١) سورة الفتح آية ١٠

(٢) سورة الفتح آية ١٨

وقد بايع الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيعتي العقبة الأولى والثانية على الإسلام، وحفظ الحدود ومراعاة الحق، والدفاع عنه صلى الله عليه وآله وسلم ومنعه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم.

والشيخ المربي هو من يأخذ العهد على المريد بالتزام الشريعة والاستقامة على الطريقة، ويبايعه المريد على ذلك، فيكون ذلك بمثابة العقد المبرم والبيعة اللازمة في عنق المريد، والمربي الكامل لا يعطي الطريق لكل من طلبها إلا إذا رأى ملامح التوفيق في المريد، صيانة للطريق من تمرد الأشرار، وحفظا للمريد من خيانة العهد والأمانة، وربما رجع إلى معرفة الشيخ بأن هذا ليس من أبنائه، أو أن أوانه لم يحن بعد كما سبقت الإشارة إليه من قبل.

وإذا ما أعطى الشيخ الطريق للمريد أو أخذ العهد عليه وجب عليه حفظ ذلكم العهد، فإنه عهد أمر الله بالوفاء به فقال: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)[1] وبحفظ العهد وعدم نقضه والإخلال به يرتقي المريد في سلم الكمال، وبتضيعه والانسلاخ منه يتدخرج المريد إلى أسفل سافلين.

وأما تعدد الطرق فسببه تعدد الشيوخ وتنوع المشارب، فكل من وصل إلى الله بطريق معينه دعا أتباعه إلى الولوج منها،

(١) سورة الإسراء آية ٣٤

وكلها سبل تدخل إلى سبيل الله، وليست سبلا تصد عن سبيل الله كما يتوهمه الأدعياء، قال الله تعالى: (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**) [1] أي سبل الخيرات وطرق النجاة، والجهاد هنا المراد به جهاد النفس، لأن السورة مكية ولما يفرض الجهاد بعد.

وأما المنهي عنها في قول الله تعالى: (**وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِه**)[2] فهي السبل التى تصد عن سبيل الله، وهي سبل الشيطان وطرقه ومداخله.

والمربي الكامل يتولى رعاية أبناءه أيا كانت بلادهم وأعدادهم، ولا تختلف عليه أحوالهم ومقاماتهم، وهذا من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا.

الوصية التاسعة: (عدم الأفول والذبول والنزول)

والمقصود: أن على المريد أن يمضي قدما مترقيا في طريق الوصل، وأن لا تعتريه أمراض السير، وهي ممثلة في ثلاثة أمراض:

الأول: الأفول: وهو الغيبة الكاملة عن الطريق، بمعنى الاختفاء تماما كما يحدث للقمر إذا طلع الفجر، وهذا النوع أشد الأمراض خطرا وفتكا بالمريد، وهذا لا يحصل للمريد السالك إلا إذا انقطع وصله وسنده، ويكون ذلك بانزوائه

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٩

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٣

وارتداده عن مسالك القوم، أو انقطاعه بارتكاب معصية حتى أظلمت مصابيحه، أو بتوقفه عن الأوراد المقررة حتى أظلمت سرجه فلم يعد ير الطريق.

الثاني: الذبول: وهذا أقل خطرا من النوع الأول، حيث يصاب المريد بذبول في روحه، وهذا لقلة نشاطه وأخذه للدواء المطلوب، ولعدم تناوله الغذاء الكافي الذي يقوى به الجسد ويشتد عوده، وسببه: قلة الهمة عند المريد التي تحدو به نحو المعالي فيتأخر في سيره ونموه، ويكون كما الزرع الذابل الذي يحتاج إلى السقاية، فإذا سقي عادت إليه نضارته وحيويته.

والمريد يذبل بقلة همته وضعف إرادته وتكاسله، وربما أدى به الذبول إلى الأفول الذي هو الاختفاء الكلي، ولذلك تقدم الذبول على الأفول في النظم لأنه سابق له، ويصاب المريد بمرض الذبول بالإفراط أو التفريط في الدواء، ويكون بالإفراط في تناول الجرعات المقررة فيصاب بالتعب والإرهاق والتوقف عن إكمال المسيرة، كالذي يجتهد في الأوراد والأذكار المقررة فيتعب ولا يستطيع مواصلة السير فيتوقف، أو يذبل لتفريطه في المطلوب تكاسلا عنه، وكلا الأمرين شطط وخير الأمور الوسط، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: **"إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ"** (١)

(١) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب الدين يسر رقم ٩٣

ولله در من قال:

مـــن لـــي بـمــثــل ســـيــرك الــمــدلــلِ

تــمــشـــي رويــــــدا وتـــجـــي فـــي الأولِ

الثالث: النزول والتردي إلى آخر المنازل، وهو المشار إليه بالعرجون في ذيل الشهور نسبة إلى آخر طور يمر به القمر، قال الله تعالى: (**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**) [(١)]

وهذا المرض خطير أيضا، وهو أقرب إلى الانقطاع من الوصل، والخفاء من الظهور، ذلك أن القمر إذا وصل إلى حالة العرجون القديم كانت تلك آخر منازله فاختفى بعدها، وكذلك المريد إذا وصل إلى تلكم المرحلة كان أقرب إلى الانقطاع، وإذا كان مطلوبا من المريد الترقي في سلم الوصال حتى يبلغ مبلغ الرجال كان ترديه وانحداره مؤذنا بسوء المآل.

نسأل الله تعالى وصلا لا انقطاع يعقبه، وإشراقا لا غروب يتبعه، وعملا لا رياء يصحبه، ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيئ قدير، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة يس آية ٣٩

المجلس الرابع والثلاثون: ملازمة الأوراد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٣٥- والــزم الأورادَ تـغـنـمْ كـلَّ خـيـر
حــبــذا الــرضــوانَ مــن ربٍ شــكــورِ

الوصية العاشرة الالتزام بالأوراد والأذكار

والأوراد: جمع كلمة ورد، والأصل في الورد أن يكون على ماء، فلا يقال ورد إلا على ماء، وفي القرآن: (**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ**) [1] وقال: (**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ**)[2]

والمقصود من الأوراد في عرف القوم هي: ما يقرره الشيخ على المريد من تلاوة وأذكار وصلوات ونحوها، مما يجب الالتزام به والمجيى به على أكمل وجه، وقد سبقت الإشارة إليه.

والمقصود هنا: وصية المريد السالك بالتزام ما قرر عليه من أوراد حتى يمضي قدما في طريق القوم.

وقد يقول قائل: إن لنا في المأثور من الكتاب والسنة غنية عما يقرره الشيوخ لمريديهم، ولا داعي لهذا النوع من الأوراد والأذكار.

---

(١) سورة القصص آية ٢٣

(٢) سورة يوسف آية ١٩

والجواب على هذا: أن الشيوخ لم يكونوا مبتدعين في ذلك، وما كلفوا المريدين بأوراد وأذكار ليس لها أصل في الدين، ولو حصل ذلك لما اعتد بهم وما أخذ أهل الصدق عنهم، وأما المأثور من الأذكار في الكتاب والسنة فمنه ما هو خاص بأوقات معينة كأذكار الصباح والمساء، ومنها ما هو خاص بالأيام والليالي الفاضلة من العام كيوم عرفة وليلة القدر وليلة النصف وغيرها، ومنها ما هو خاص بأحوال أخرى كالخروج من المنزل والسفر وركوب الدابة ونحوها، ومنها ما هو خاص بأماكن معينة كالبيت الحرام والطواف والسعي وغيرها، وهذا كله مما يسن لكل مسلم معرفته ولا مزايدة في ذلك.

وأما الشيخ المربي فإنه لا ينفي وجود هذه الأذكار، بل ينصح بها، ويقرر أنواعا أخرى يرى فيها جلاء ظلمة السالك، ويرى فيها خروجه من أسر النفس والهوى، وكلها مشروعة ومستحبة، كأن يقرر عليه من جملة أوراده الاستغفار مائة مرة، فهذا الورد من ناحية سنيته أشهر وأظهر من أن يدلل عليه، ومن ناحية أهميته فاسمه كافٍ في الدلالة عليه، فهو طلب المغفرة والتخلى من الأثقال المقوضة والمثبطة والمعوقة التي تحجب السالك وتمنعه من السير، وقس على ذلك كل أوراد الطرق التي لها نسب صحيح عريق، ولا نتكلم هنا عن أدعياء الطريق مما لا نسب لهم ولا نسبة، فكم يحتاجون من وقت ومدد إلى تحري نسبهم وتصحيح نسبتهم.

وقد جاء في البيت السابق بيان ثمرة التزام الأوراد فعمم وخصص، فقال معمما: **(والزم الأوراد تغنمْ كلَّ خير)** وقال مخصصا: **(حبذا الرضوانَ من رب شكور)**

وأما التعميم فمعناه: أن التزام الأوراد يعود بالخيرات والبركات على المريد، ومن هذه الخيرات التي تعود على المريد في الدنيا: أنسه بذكر مولاه وذكر مولاه له، وهو القائل سبحانه: (**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**)[1] والقائل في حديثه القدسي الجليل: " **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِه ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْه ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْه بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** "[2].

ومنها: انشغاله بالذكر عما سواه من المعاصي والعادات الملهية وإضاعة الوقت فيما لا يفيد.

ومنها: حفوف الملائكة به، وتنزل السكينة وتوالي الرحمات عليه.

ومنها: اقتداء غيره به لما يرونه من طاعته، فيحصل التسابق إلى الخير.

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٢

(٢) صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه رقم ٧٤٠٥ وصحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى رقم ٢٦٧٥

ومنها: ظهور آثار الصلاح على وجهه ولسانه فيحظى بالقبول بين عباد الله.

ومنها: حفظ الله له حتى يكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها.

ومنها: حياة روحه وترقيها إلى عالم الشهود، سيما وقد سبحت في عالم الذكر الذي به حياتها وبدونه موتها، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: **"مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ"**[1]

ومنها: رضا شيخه عنه، وفرحه به لما يرى من همته وقربه من الله، وأنه قد سلك الطريق ومضى بأمان وسلام، إلى غير ذلك من الخيرات التي تعود على المريد من التزامه بالأوراد مما يضيق به الحصر والمقام.

وأما التخصيص: فهو حصول الرضوان من المولى تعالى، ويكون هذا من عطف الخاص على العام، أو هو ترقي من الأدنى إلى الأعلى، ولا شك أن كل خير -مهما كان- لا يساوي الرضوان من رب خبير، وقد ذكر الله ثواب المؤمنين وجزاءهم في الآخرة، وبين أن رضوانه أكبر من كل جزاء فقال: **(وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**

---

(١) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل رقم ٦٤٠٧ وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد رقم ٧٧٩

خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[1] .

وقد ذكر بعض المفسرين أن الرضوان الأكبر في الآخرة هو: النظر إلى وجه الله الكريم، فهذا هو مقام المشاهدة، والمريد إذا التزم الأوراد المقررة فإنه يغنم كل خير في حياته، ويضاف إليه رضوان من المولى عليه في الدنيا، وهو أن يحيى حياة الشهود.

نسأل الله تعالى أن يحيي قلوبنا بذكره، وأن يعطر حياتنا بأنسه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة التوبة آية ٧٢

المجلس الخامس والثلاثون: الحياة الطيبة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه،

قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٣٦ - إن حبـاكَ اللّه فـاهنـأ يـا أُخـيـا

لـن تـرى فـي قُـربـه نـارَ الـحَـرورِ

أشار البيت السابق إلى ثمرتين من ثمرات الصحبة، وهي في مجموعها خمسة إذا أضيفت إلى الثلاثة المتبقية، وسيأتي الحديث عنها بعد ذلك إن شاء الله.

الثمرة الأولى: الحياة الهنية.

وإذا كان الله تعالى توعد المعرض عن ذكره والمتنكب طريقه بالعيشة الضنك فقال: (**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**)[١] كان من رحمة الله تعالى أن أهل القرب والذكر في حياة هنية، وهذه الحياة الهنية هي العربون المقدم لهم من نعيم الآخرة، قال الله تعالى: (**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)[٢].

والحياة الطيبة: هي العيشة الهنية في الدنيا، والجزاء الأوفى: هو النعيم الأبدي في الآخرة.

ولا تذهب بعيدا فتظن أن الحياة الهنية هي الحياة المادية، والسعة

(١) سورة طه آية ١٢٤

(٢) سورة النحل آية ٩٧

في الـرزق، وكثرة المال والولـد، وبلوغ الجـاه، فإنها ليست مراد القوم، وهي أقل من أن يقام لها وزن عند أرباب السلوك، وإنما المراد عندهم بالحياة الهنية: حياة الروح وهناءها، ووصولها إلى درجة الفناء في المحبوب، وإلى تلكم المعاني أشار السلطان فقال:

ومـوتـي بـهـا وجـدا حـيـاة هـنـيـئـة
وإن لـم أمـت فـي الـحـب عشـت بغصة

فـيـا مـهـجـتـي ذوبـي جـوى وصـبـابـةً
ويـا لـوعـتـي كـونـي كـذاك مـذيـبـتـي

ويـا نـار أحـشـائـي أقـيـمـي مـن الجوى
حـنـايـا ضـلـوعـي فـهـي غـيـر قـويـمـةِ

ويـا حسـن صـبـري فـي رضـى مـن أحبها
تـجـمـل وكـن لـلـدهـر بـي غـيـر مشمتِ

إذا أسـفـرَت فـي يـوم عـيـد تـزاحـمَـت
عـلـى حُسـنـهـا أبـصـار كـل قـبـيـلـةِ

فـأرواحـهـم تـصـبـو لـمـعـنـى جمالها
وأحـداقـهـم مـن حـسـنـهـا فـي حديقةِ

وعـنـدي عـيـدي كـل يـوم أرى به
جـمـال مـحـيـاهـا بـعـيـن قـريـرةِ

وكـل الـلـيـالـي لـيـلـة الـقـدر إن دنـت
كـمـا كـل أيـام الـلـقـاء يـوم جـمـعـةِ

فهذه أعيادهم ولياليهم، وتلك حياتهم وعيشتهم، وهذا معنى السعادة عندهم

الثمرة الثانية : النجاة من نار الحرور.

والمراد منها: النجاة من نار الحيرة والتردد، ذلك أن وجود الشيخ المربي أكبر يقين للنفس في عالم الشهود، ولو ظل المريد دهرا طويلا في طاعة ولم يوفق لصحبة المربي الكامل لما وصل إلى ذلكم المقام.

كثيرون هم الذين يعبدون الله بأصناف القربات والطاعات، ولكن طاعتهم مبتورة من اليقين والشهود، فهم في حرور الطاعة وثقلها، وما زالوا يشعرون بكلفتها، أما من صحب الكمل بعيدا عن الهمل فقد حاز المقام الأكمل.

ومن وصل إلى مقام اليقين فقد قطع الفيافي، وتربع على عرش الكمال، ووصل إلى مقام من لو رأى القيامة رأي العين لما زاد في منسوب إيمانه، لأنه في شهود أبدي، وحضور سرمدي.

والعامة يحتاجون إلى القصص المرققة والأخبار المشوقة حتى تطمئن قلوبهم إلى عمل الصالحات، ويحتاجون إلى القصص المخوفة حتى تبغض اليهم السيئات، أما أهل السلوك فتكفيهم معية أهل القرب فإنها من أعظم المعين على ذلك.

ولو صحب المريد أهل المعرفة لسرت الطاقة الروحية منهم فيه فالصاحب ساحب، ولتأثر بهم وبسلوكهم وخشيتهم، فالمرء على دين خليله، ولترقي بسرعة فائقة وتأهل لما لا يصل إليه غيره في عمر مديد، وكم تطوى المقامات لأهل السلوك بصحبة العارفين، وبحسن الصلة بالله رب العالمين.

ومما يذهب حرور الحيرة وحجاب الغفلة: مشاهدة الشيخ المربي حال استغراقه في عالم الشهود، فلو كشف للمريد حال شيخه ساعتها لهام على وجهه من عظمة الشهود، ولو تحدث الشيخ بحاله الذي هو فيه وقتها لما تحمله الوجود، ولكن يكفي المريد بركة أن يدرك أحوال القوم، وأن يسلم بها لأهلها فإن الإنكار حرمان والمذاق وجدان، ولله در من قال:

وكـــم مـــن مـنـكـر أمـــســـى بـكـيـد
فـأصــبـح والـطـريـقـة مـرتـضـاهُ
وكـــم مـــن جـاهـل أبـــدى عـتـابـا
فـلـمـا ذاق مـا ذقـنـاه اشـتـهـاهُ
وكـــم مـــن زائـــر بـصـفـاء قـلـب
واخـــلاص مـنـحـنـاه مـنـاهُ
فـسـلـم لـلـرجـال ولا تـكـابـر
فـقـد وضـح الـطـريـق لـمـن رآهُ

وقد أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مقام الشهود العرفاني فقال: **"لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ"**[1].

وقوله: "لو تعلمون" لا يعني أنهم جميعا لا يعلمون، فمنهم

(١) صحيح البخاري كتاب الكسوف باب الصدقة في الكسوف رقم ١٠٤٤ وصحيح مسلم كتاب الكسوف باب صلاة الكسوف رقم ٩٠١

من يعلم، ومن يضحك قليلا، ويبكي كثيرا، ومن خرج إلى الجبال يجأر، ودليل ذلك أن منهم من لم يكن حاضرا حينها.

وهذا المقام يصل إليه العارفون، وعنده يقل ضحكهم ويكثر بكاؤهم، ومنهم من يستر حاله عن غيره، وإنما يمنعه من الخروج إلى الصعدات ما منع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما لم يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصعدات؛ لأنه لو خرج والحال هذه لخرجوا معه جميعا، ولأثم المخلفون، ولأصبحوا جميعا في عالم الشهود الذي لا يعفى العارف بعده، ويحاسب فيها على مثاقيل الذر، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولتعطل عندها كثير من أمور الحياة، ولكن الأمور تجري بالمقادير.

وكم هي الغيبيات التي حدث عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته حديث من رأى الغيب شهادة؟

والعارف بالله هو من يعبد الله عن شهود وعرفان، وربما أشهد مريده بعض ذلك حتى لا يوهنه حرور الحيرة، وآنس مريده حتى لا تحرقه نيران الغفلة، نسأل الله تعالى أن يشهدنا جماله وجلاله، وأن يمنحنا قربه ووصاله، إنه جواد كريم، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس السادس والثلاثون: دفع العوادي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٣٧- لا ولـن تخشى الأسـودَ ولا العـوادي
لا وربـــــي لا ولا شـــــرَّ الـــنُـــمُـــورِ

لقد سبق الحديث عن ثمرتين من ثمرات الصحبة، وجاءت الإشارة في البيت السابق إلى تتمة ثمرات الصحبة، وهي الثلاث ثمرات المتمثلة في الوقاية من شر الأسود، والعوادي، والنمور.

وقد يظن البعض أن الثلاثة بمعنى واحد وليس كذلك، فالعطف يقتضي المغايرة، كما أن التنوع يدل على خطورة كل نوع بحسبه، كقول الله تعالى **(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)**[1] إيذاناً بأن كل نوع مستقل بذاته وشديد الضرر بنفسه، وإليكم بيان ذلك:

الثمرة الثالثة: الأمان من الأسود

والمراد بالأسود: الضواري من الحيوانات والسباع والتي جبلت على الافتراس والفتك، وهي من خلق الله وشرها مدفوع بتصريف الله، والنجاة منها بأخذ الحيطة والحذر، وحسن الصلة بالله، وصحبة أهل الله، وما قصة عقبة بن نافع إلا

(١) سورة الفلق كاملة من ١ إلى ٥

خير شاهد على ذلك، وملخصها: أن الصحابي الجليل عقبة بن نافع رضي الله عنه خرج مجاهدا في فتح شمال أفريقيا، فمر بشعاب وآجام فوجدها مليئة بالأسود والسباع والوحوش والحيات، وكان في عسكره خمسة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعترضتهم الوحوش والسباع، فقال مخاطبا تلكم الأسود والسباع: أيتها الحيّات والسباع، نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنا نازلون فارتحلوا، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه، فخرجت السباع تحمل أشبالها، حتى إن الذئب ليحمل صغيره، والحيّات تحمل أولادها، في مشهد لا يرى مثله في التاريخ، وانصرفوا جميعا ملبين نداءه ومطيعين أمره، ويرحم الله البوصيري حين قال:

ومن تكن برسول الله نصرته

إن تلقه الأسد في آجامها تجم

ولا يتوهم البعض أنا نسوي بين مصاحبة الشيخ المربي وصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن مقام الصحبة مقام لا يُدرك، وإنما المعول عليه في ذلك كله: نية السالك وصدقه مع الله، ويستوي في ذلك السابق واللاحق، فان تحقق ذلك كان العبد في معية مولاه، ولا حرج على فضل الله ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾[1] وكيف شاء وبما شاء.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣

الثمرة الرابعة : الأمان من العوادي

والـعـوادي: جمع عـاديـة، وهـي المهلكات الـتـي تهلك الروح والنفس.

ومن هذه العوادي: أمراض القلوب الفتاكة كالعجب والرياء وغيرها، والمربي خير معالج لذلك كله.

ومن العوادي التي ينجو منها المريد: عوادي الذنوب، وهي شر العوادي، والشيخ المربي كصاحب الزرع الذي ينقيه من الآفات الضارة، ويتغمده بالسقيا بين الحين والآخر، وإذا رأى ثمرة مأوفة قام بعلاجها أو استئصالها خوفا من أن يصيب ضررها غيرها أو يستشري في كلها.

والشيخ المربي يحذر مريده من الذنب وخطره، حتى إذا بدت على المريد ملامح إصابة الذنب أو الاقتراب منه، وأصبح المريد كالمريض الذي يحتاج العناية أكثر من غيره، جذبه إليه وقربه منه، وصار له كالطبيب الملازم لمريضه حتى تمر الحالة الحرجة بسلام.

ومن العوادي: فتن الزمان ومصائبه، فإذا لم يكن للمريد مربياً كاملاً يقوي مناعته ويضاعف قوته اخترقته الفتن، وخاض فيما لا علم له به وراح ضحيتها.

واليوم نشاهد من الحروب التي قامت باسم الجهاد وطلب الشهادة، وقد راح ضحيتها الآلاف من المسلمين، ممن لا بصيرة لهم ولا روية، ولا صحبة صالحة تبصرهم بحقيقتها، ونرى أهل الله وقد منعوا من حولهم من خوضها، وبينوا لهم أنها حرب فتنة، فنجوا بفضل الله وهلك غيرهم.

الثمرة الخامسة : الأمان من شر النمور

وقد جاء القَسَمُ على نفي الأخطار شاملا للثلاثة المتقدمة المتمثلة في (نار الحرور، وخطر الأسود، وضرر العوادي) في قوله "لا وربي" وجاء القسم مستقلاً في الأخيرة في قوله "وربي لا ولا شر النمور" إيذانا بأن شر النمور لا يقل خطرا عن الأخطار الثلاثة السابقة.

والمراد بالنمور: النمور البشرية التي بها صفات النمور الحيوانية، كالقفز، وسرعة التحول، والتربص، والغدر، ونحوها.

والنمور من البشر: هم أهل الإرجاف والافتراس والتعدي، وهم أخطر في دنيا الناس من نمور الحيوان، ذلك أن النمر من الحيوان يعلم ضرره وخطره وتمكن الوقاية منه، والنمر من البشر تصعب الوقاية منه إلا بالتعرف على طرق النجاة، والله يغار على أحبابه، فكم تربص بالسالكين أناس وأرادوا تطويقهم ولكن الله نصرهم، (**فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**)[1]

والمقصود من ذلك كله: أن صحبة المربي الكامل تقي المريد من شرور النمور البشرية المتلونة الخبيثة، السريعة القفز والفتك، والتي ظاهرها اللون البديع، وباطنها الخطر المريع.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٤

وتتمثل تلكم الوقاية في حرص الشيخ على تبصير مريده بأصناف الناس، وتحذيره من الذئاب البشرية والأسود والنمور وسائر العوادي.

ومن اللطائف في الثمرات الثلاث المتقدمة: أن الأسود يرمز بها إلى الأذى الظاهر الذي يجي من جهة الأمام، والنمور يرمز بها إلى الخطر الخفي الذي يجي من جهة الخلف، والعوادي هي الشرور الخفية داخل النفس، والشيخ المربي يقي المريد من الأخطار الظاهرة والباطنة ومن نفسه التي بين جنبيه.

نسأل الله تعالى أن يحفظنا والمسلمين، وأن ينجينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه نعم المولى ونعم النصير، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس السابع والثلاثون : دعوات للشيخ المربي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٣٨ - ربِّ واجـز الشيـخَ عنـا كـلَّ خير
وفِّـــهِ الـلـهـمَّ أضـعـافَ الأًجـورِ

ومن هنا يبدا القِسم الثالث الأخير من القصيدة، والذي ينتظم تسع أبيات، تجمع دعوات الختم.

وفي البيت السابق يأتي الدعاء للشيخ بالجزاء خيراً ومضاعفة الأجور، والمراد بالشيخ: هو السيد مصطفى البحياوي الشريف الحسني الإدريسي المغربي حفظ الله حياته.

ولولا أن النظم ساقني إلى التعريف به لما ساغ لي أن أعرف بمن لا أدرك غباره، وأرى نفسي أحقر من أن ألحق مداره، وكم قدمت قدماً وأخرت أخرى في ذلك، لأني لست هنالك، وإذا عرفت بمن لا أفي بحقه في الثناء فقد ظلمته، وإذا وصفت ولم أوف الوصف فقد غمطته، وما تلك الترجمة إلا قطرة من فيض التعريف بمقامه، ولمحة من جليل أنفاس المجلين عن كنه صفاته، فأقول طالبا من الله العون مستعينا به سبحانه :

إنه المربي الكامل، والعالم العامل، قمر زمانه، وإمام عصره وأوانه، جوهرة الأوائل، وإكليل الأواخر، مجمع العز والمجد، والمفاض عليه بلا حصر وعد، يتيمة العقد النبوي،

وأعجوبة اللسان الندوي، جلال العدل الرباني، وجمال الفضل الصمداني، السائر بلا إله إلا الله، والماضي على قدم رسول الله، من شرفت بذكره الكلمات، وتقاصرت دونه العبارات، شمس التجلي، ومعاني التخلي والتحلي، عمدة المحققين، وقدوة السالكين، منهل العرفان وموطن الإحسان، الشجرة الكاسية ذات الثمار الوافية، العالم النحرير والعارف الإكسير، سليل بيت النبوة، ومجلى جلال البنوة، إكسير الجمال وسني الخصال، صاحب الرتب العوالي والدرر الغوالي، الإمام القدوة والثبت النحرير، جمع العلوم وحفظ المتون، وقرأ وأقرأ بالعشر، وفتح العلوم ودفع الأغلال والأصر، فهو المتبحر في كل علم يتناوله، وكأن الوحي يمده ويناوله، جزل العبارة، وملهم في النص والإشارة، إنه الطبيب المداوي والمسند الراوي، سيدي مصطفى البحياوي، نفعنا الله به وبعلومه في الدارين آمين.

ولد بمدينة مراكش سنة ألف وتسعمائة وخمسين من الميلاد، ونشأ في كنف والده الإمام سيدي أحمد بن عبد الرحمن البحياوي ـ رحمه الله ـ اللهم ألحقني بنسبه وحققني بحسبه آمين.

وكان بيت والده بمثابة المنتدى الذي يتردد إليه أكابر العلماء والقراء، فجالس العلماء والأولياء، ودرس على الكثيرين، ونهل من العارفين، فجاءت علومه لبنا خالصا سائغا للشاربين.

حفظ القرآن الكريم في صغره على يد والده بروايتي قالون

وورش، وأخذ عنه مبادئ العلوم من عربية وفقه وتفسير وأداء.

وكان والده إماما وخطيبا وصاحب مقرأة قرآنية، وعند وفاة والده جلس مجلسه للإقرار فيها، وكان يُدرّس في المدرسة القرآنية في مراكش.

ونقل غير واحد من أهل العلم أنه تتلمذ على يد الربانيين، وتخرج على يد العلماء العاملين، وتأثر بهم في مرحلة الطلب، ومن هؤلاء: العلامة المفسر الحاج الهاشمي المراكشي، فقد درس عليه التفسير، وتأثر به كثيرا، والشيخ المقرئ محمد بن إسماعيل وقرأ عليه مبادئ علم التجويد، ودرس عليه الجزرية ونظم ابن بري في مقرأة الإمام نافع.

ودرس على الشيخ بلخير الفقيه علم التفسير ومناهج المفسرين، ودرس على الشيخ اسميج الضرير المنطق والعقيدة، ودرس على الشيخ اللغوي أحمد الشرقاوي اللغة والأدب وبعض المعاجم اللغوية، ودرس النحو والعربية وأبوابا من حاشية الشيخ خليل في الفقه المالكي في زاوية أبي العباس السبتي بمراكش على الشيخ احمد املاح، ودرس العاصمية في الفقه المالكي على الفقيه قاضي القضاة في الجنوب الشيخ عبد العزيز الزمراني، ودرس على الشيخ الفقيه السباعي الكنتاوي وقرأ عليه الفقه المالكي، وحضر مجالس سرد البخاري للفقيه الورزازي، ودرس على العلامة اللغوي الفاورقي الرحالي، وحضر له مجالس الجامع الصحيح إلى

كتاب المغازي، وارتبط به وتأثر كثيراً بأسلوبه ومنهجه.

ودرس السيرة النبوية على الشيخ الكنسوسي، وحضر أبوابا من كتاب إحياء علوم الدين على الشيخ بن حليمة المراكشي، الذي كان يحفظ الإحياء، وكان ينعته الشيخ بعاشق الإحياء.

وممن أخذ عنهم كذلك: اللغوي أحمد الشرقاوي إقبال، والمقرئ الشيخ عبد الفتاح القاضي، والمقرئ الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف، والشيخ المحدث عبد الله بن الصديق الغماري، والشيخ المحدث عبد العزيز بن الصديق الغماري، والفقيه الحسن الزهراوي، وغيرهم.

ولما توفي والده سيدي أحمد بن عبد الرحمن تولى الإمامة والخطابة من بعده، وجلس مجلسه للإقراء بمراكش، ولما اجتاز الباكلوريا التحق بمدرسة المعلمين، وتخرج الأول على دفعته، وتم تعيينه بعيدا في منطقة نائية على جبال الأطلس تسمى أكلموس، وأمضى هناك مايزيد على ثلاث سنوات، وبعد ذلك التحق بالمركز الجهوي للدراسات اللغوية والأدبية بمراكش، فكان ذلك سببا في انتقاله مرة أخرى إلى مراكش.

واستمر في إشرافه على المقرأة القرآنية وتدريس القراءات والعلوم الشرعية الأخرى، والخطابة في مسجد والده وغيره من المساجد الأخرى.

والتحق بكلية الفلسفة في الرباط، ليتابع دراسته الجامعية عن بعد، فكان يجمع بين التدريس في دار القرآن والاقراء في

مقرأة والده والوظيفة والدراسة في المركز الجهوي.

وحصل على الماستر "دبلوم الداراسات العليا" في الدراسات القرآنية من خلال بحثين: الأول تحت عنوان "المسك الأذفر فيما خالف فيه نافع أبا جعفر"، والثاني "مناهج دراسة النص القرآني.

وتقدم ببحث دكتوراه في تحقيق (جميلة أرباب المراصد شرح عقيلة أتراب القصائد للجعبري) لكنه قوبل بالعراقيل فصرف نظره عنه، وبعد تخرجه من المعهد الوطني عين مفتشا عاما على جهة الشمال ومشرفا على التعليم في كل من طنجة وشفشاون وتطوان لمدة ثلاث سنوات، إلى أن استقر به المقام في طنجة إلى الآن.

وأسس في طنجة معهد الإمام الشاطبي للقرآن وعلومه الذي يدرس فيه ويديره، وله مجالس في التفسير وعلوم القرآن، وصحيح البخاري، والسيرة النبوية، والأصول، واللغة، ويلقي خطبة الجمعة في مسجد الإمام الشاطبي التابع للمعهد، وهو صاحب كرسي التفسير في مشروع الكراسي العلمية بالمملكة المغربية.

وشارك في الكثير من لجان التحكيم في مسابقات القرآن بالمغرب ومصر، وتردد على إمارة الشارقة في دولة الإمارات بدعوة من منتداها الإسلامي، وبضيافة من أمير الشارقة، للمشاركة في الدورات العلمية التي ينظمها المنتدى مرتين

في كل عام، ألقى خلالها دروسا عدة في التفسير، وصحيح البخاري، وعلوم القرآن، والسيرة النبوية، والشمائل، والعقيدة، والتاريخ، والسلوك، والأصول، والمقاصد، وغير ذلك.

ولم ينقطع الشيخ -حفظه الله - للكتابة و التأليف؛ ولو حصرت دروسه ومحاضراته وفرغت لرأينا من ذلك عجبا.

ومما خطه قلمه: نظوم في تراجم البخاري، ونظم في مغازي الرسول صلى الله عليه و سلم، ونظم للعقيدة الطحاوية، و تكميل نظم العلامة ناصر الدين أبي العباس أحمد بن محمد المالكي الإسكندراني المعروف بابن المنير المسمى "التيسير العجيب في تفسير الغريب"، سماه: إضافة اللبيب لتكميل التيسير العجيب في تفسير الغريب، إلا أن الكثير مما خط الشيخ لم يطبع بعد [1]

هذا بعض ترجمته وما كتب عنه، وإني لأستمنح القاري عذرا إن قصرت في وصفه، وأحيله إلى مجالسته والسماع إليه، ومشاهدة تسجيلاته واللقاء به، فإنها الكفاية لمن أراد أن يعرف عن الشيخ بعض ما فيه.

---

(١) أنظر ترجمته في كتاب (روض الإلهيات من خلال مقاطع الجلالة في الآي البينات) إعداد وتقديم الحاج محمد قاسمي السجلماسي ص ٣٠ إلى ٣٨ وانظر مكانة الشيخ العلمية وشهادة العلماء له بذلك من ص ٣٩ إلى ص ٤٤ المرجع نفسه

ولله در من قال:

يـا ابـن الـكـرام ألا تـأتـي فـتـبـصـر ما

قـد حـدثـوك فـمـا راءٍ كـم سمعا

وإني لأحمد الله تعالى أن حملني إليه على نجائب فضله وجوده، فالتقيت به كثيرا في المدينة المنورة والشارقة والمغرب، وأخذت عنه وشاهدت منه، ولم تر عيني مثله قط، وأستمنح القارئ عذرا أني لم أفِ بحقه ولا بشيئ من وصفه، وأسال الله تعالى أن يجزيه عنا خير الجزاء وأن يوفيه عظيم الأجور وأن يقر عينه بنا في الدنيا ويوم النشور، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثامن والثلاثون : دعوات متتالية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٣٩- واكسُـهُ اللهمَّ عـافيـةً وعـفـوا
وابسُـطِ اللهـمَّ نـعـمـاءَ السُـرور

سبق الدعاء للشيخ المربي ـ سيدي مصطفى البحياوي حفظه الله ـ بالمجازاة خيرا، وبمضاعفة الأجر والثواب، جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين، وتبعه الدعاء بأن يكسيه الله لباس العفو والعافية، وأن يبسط عليه نعماء السرور.

والمقصود من لباس العافية: الصحة البدنية والروحية والزيادة فيهما، والمقصود من ثياب العفو: تجلي الله تعالى عليه باسمه العفو، وهو على المذنبين مغفرة ومتابا، وعلى العارفين قربا ومنابا.

وتقدم طلب العافية على العفو هنا للضرورة الصحية والشعرية، والأصل أن يقدم العفو، ذلك أن العفو أولى من العافية، ولا يستغنى العبد عنهما.

وقد كان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي"**[1]

(١) سنن أبي داوود أول كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح رقم ٥٠٧٤

ومن خلال الأدعية السابقة والتي تليها نؤكد على أمرين:

الأول: أن الدعاء للشيخ هو من باب الاعتراف بجميله ومعروفه، وهذا أقل ما يقدمه المريد لشيخه، ألا ترون أن من السنة الدعاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عقب الأذان بما دعانا إليه في قوله: **"مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ"** [1]

والشيخ المربي له حق على مريده، ومن أبسطها الدعاء له، فهو من باب الاعتراف بحقه الذي هو له عليه، وفي الحديث **"مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ"** [2] وقال: **"مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ"** [3]

وكيف لا يكون ثمة دعاء، وما من معروف أعظم وأجل من الدلالة على الله التي بها سعادة الدنيا والآخرة.

الثاني: أن تلكم الأدعية التي ظاهرها نفع للشيخ وحده هي كذلك نفع للمريد معه .

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء رقم ٦١٤

(٢) سنن أبي داوود أول كتاب الأدب باب في الرجل يستعيذ من الرجل رقم ٥١٠٩

(٣) سنن الترمذي أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في الثناء بالمعروف رقم ٢٠٣٥

وتوضيح ذلك: أن الله إذا رضي عن الشيخ ووفاه عظيم الأجور، وأمده بالعفو والعافية، وكساه حلل البهاء، وبسط عليه نعماء السرور، ونحو ذلك مما يدعو به المريد لشيخه، فإن أثر ذلك يعود على المريد، فعافية الشيخ تعينه على مواصلة العطاء، وتوفيته عظيم الأجور ترفع درجة الشيخ ورتبته عند ربه، فينعكس ذلك على المريد دلالة وقربا، وقس على ذلك جميع الأدعية التي يُدعى بها.

٤٠- رضِّـه اللهم عنا قُـرَّ عينَه أنـتَ مولانا وجبـارُ الكُسورِ

وهذا دعاء بطلب رضا الشيخ، وقد يقول البعض: الأولى من ذلك أن يطلب المريد رضا ربه، وبعد ذلك يطلب رضا الشيخ، أو يكتفي برضا المولى عنه، وأصحاب هذا القول هم نَزِحوا الحِقاق، الذين يتوقفون مع القشور، ويضيقون في موضع السَعة.

وبقليل من التأمل يدرك العاقل والواعي أن رضا الشيخ من رضا الله، وأن رضا الشيخ دلالة رضا الله، والشيخ هو المرآة التي يظهر عليها رضا الباري وغضبه، والشيخ للمريد كالترمومتر الرباني، ينظر المريد في وجه شيخه فيعرف حاله مع الله، والشيخ لا يرضى عن مريده وقد اقترف إثما، ثم هو يباسط مريده حالما أبصره على طريق الاستقامة، فينظر المريد في وجه شيخه فيدرك معاني رضا الباري سبحانه، وإذا كان الحسن البصري رحمه الله يقول: كنا نعرف حالنا مع الله تعالى بخلق

دوابنا ونسائنا، فكيف هو المربي الكامل الذي يلمح بالإشارة ما يغني عن العبارة!

وتأتي الدعوة للشيخ بقرة العين، والمراد منها: قرة عينه بمريده وذويه، ولا تقر عين الشيخ بمريده إلا إذا رآه على سبيل الهداة، وأوصله إلى طريق النجاة، ولا يزال يأنّ ويسأل الله الاستقامة لأتباعه حتى يعبر بهم إلى طريق الأمان.

والقرة دمعة باردة تخرج من العين على إثر فرح وسعادة، ودمعة الفرح باردة، ودمعة الحزن ساخنة.

والالتفات إلى المولى سبحانه وخطابه بالضمير المنفصل (أنت) مضافا إلى كلمة (مولانا) توسل إليه سبحانه وطلبا للقبول، ومن جميل المصادفة أن جملة (أنت مولانا) جاءت في نهاية الدعاء المستجاب في خواتيم سورة البقرة، والذي قال المولى بعده كما في صحيح مسلم: **قد فعلت**،[1] أي قد أجبت، فجيئ بها هنا لتشارك القبول هناك.

ومخاطبة المولى سبحانه بأنه جبار الكسور توسل إليه تعالى باسمه الجبار الذي يجبر كسر عباده، وفيه إلماح إلى

---

(١) في هذا إشارة حديث ابن عباس قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذه الْآيَةُ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾ البقرة: ٢٨٤، قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا » قَالَ: فَأَلْقَى اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ البقرة: ٢٨٦ « قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ » ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ البقرة: ٢٨٦ « قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ » ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ البقرة: ٢٨٦ « قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ» صحيح مسلم كتاب الإيمان باب تكليف الله بما يطاق رقم ١٢٦

حال المريض الكسير الذي يحتاج إلى علاج.

والجبر أنواع: فمنه جبر المعصية بالتوبة، وجبر الحيرة باليقين، وجبر الفقد بالوجد، وجبر الضيق بالسعة، وجبر البطالة بالجد والعمل وغير ذلك، فاللهم احفظه بحفظك الذي حفظت به عبادك الصالحين، وبارك عمره وعمله، ورضه عنا يارب العالمين.

٤١- تـــمَّ سُـقيـانـا عـلـيـه وكــن معينا
أنـــت مـــولانــا عــلـى كــل الأمـــــورِ

تمَّ سُقيانا: الأصل أتم، وحذفت الهمزة للضرورة الشعرية، والمريد يدعو ربه له ولإخوانه بتمام سقياهم على يد الشيخ المربي، طالباً من مولاه العون، فهو وحده المعين في كل الأمور.

وتمام السقيا عند القوم له معان:

أولاً: السقاية خاصة بعالم الروح دون الجسد، ولذلك فهي لا تتوقف على مرابطة المريد عند شيخه، فإن اتصال الأرواح هو المعول عليه في تلك الأمور.

ثانياً: لابد للسقاية من مقادير وإلا غرقت الروح في عالم الأنوار، والشيخ عالم بمستوى مريديه، فلا يناولهم جميعا في مستوى واحد فضلا من أن يرتفع بأحدهم عن مستواه، والمريد المبتدئ ليس كمن قطع شوطا في الطريق، والابتداء هنا ليس معناه السبق الزمني، فالطريق لمن صدق لا من سبق، وإنما المراد ابتداء الأنوار، كمثل الطفل المولود الذي يتأذى

بالإضاءة الزائدة، وكالمريض الذي يخشى عليه من التعرض للشمس أو الحرارة.

ثالثاً : أن السقاية عندهم قد تستغرق زمناً وقد لا تستغرق، حسب قوة الشيخ وإمداده، وحالة المريد واستعداده، فمنهم من هو كالأرض المهيئة المعدة من قبل التي لا تتعب زارعها، وما هو إلا مجهود قليل وتصبح الأرض مخضرة مشرقة بنور ربها، أما الأرض البوار فتحتاج إلى جهد وإصلاح، ومزيد من الماء حتى ترتوي وتنخفض حرارتها فلا تحرق البذر والحب .

رابعاً : أن الشراب عندهم خاص بالمعرفة والمحبة والصفاء، والمراد بشراب المعرفة: العلم بالله وصفاته وأسمائه على سبيل الشهود الرباني، ومعرفة الوجود وما فيه على سبيل الكشف العرفاني، وإلى هذا الشراب أشار سيدي أبو العزائم بقوله:

خمر الجلالة للأحباب قد دار
من ذاقها صار محبوباً ومختارا
خمر طهور سقاها الله من أزلٍ
في حضرة القدس إسرارا وإظهارا

وأما شراب المحبة فهو: الشراب الذي يسقاه المحب فيفنى في محبوبه، وهو المشار إليه في قولهم:

سقوني وقالوا مت غراماً بحبنا
إذا شئت أن تحيا وتحظى بقربنا
فموت الفتى بالحب راحة قلبه
إذا مات من حر الصبابة والعنا

فكم من فتى أضحى متيم بالهوى
وكم من قتيل فى الغرام بحبنا

وأما شراب الصفاء فهو: شراب صفاء الروح ووضوح الرؤية وتحقق المنى، وهو المشار إليه في قولهم:

فلله عيش قد تقضى بقربهم
وكأس الهنا صاف و معنى اللقا رحبُ
سقوني شراب الأنس صرفاً مقدسا
عن المزج لما أن تمزقت الحجبُ
فقالت سليمى قر عينا بما ترى
وطب في الهوى نفسا فقد حصل القربُ

خامساً: أن على المريد ان لا يبرح الأدب زمن السقاية حتى تؤتي السقاية ثمرتها المطلوبة، ولا يكون كالذي يأخذ الدواء ويباشر أسباب المرض، والأدب هنا معناه: حفظ الشريعة والوفاء بالعهود الوثيقة.

سادساً: أن على المريد أن لا يطلب السقيا من غير شيخه ولو طال الزمن، فإن الأمور تجري بالمقادير، ولا يكون كمن يذهب إلى الأطباء ويخلط بين دواء ودواء، ولا يعنى ذلك الانقطاع عن أهل الفضل، فالخير فيهم لا يعد، وإنما المراد التداوي من عند طبيب واحد مباشر لحالته حتى يتم شفاؤه، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس التاسع والثلاثون: تتمة الدعوات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٤٢- عُـمَّـنـا بـالـفـتـحِ واشـمـلـنـا بعطف
نـجـنـا الـلـهـم مـن كـل الـشُّـرورِ

وفي البيت السابق ثلاث دعوات متتالية وهي: طلب عموم الفتح، وشمول العطف، والنجاة من الشرور، وأما طلب عموم الفتح فالمراد به: ما يفتحه الله للعقل والروح والقلب من الهبات، وفتح العقل بالعلم والمتابعة، وفتح الروح بالأنوار والمشاهدة، وفتح القلب بالسكينة والمكاشفة.

وأما فتح العقل فمطلوب لشرف العلم والمتابعة، وأما فتح الروح فمطلوب لحصول الأنوار والمشاهدة، واما فتح القلب فمطلوب من حيث السكينة لا المكاشفة، لأن طلب الكشف عيب في السير إلى الله، ومن هبات الله ما يؤخذ ولا يقصد .

ومن الفتح الذي يفتحه الله على عباده: إدراك دقائق العلوم وأسرارها وفتق رتقها، والإلهام المصاحب للأنفاس سيرا وإرادة، ومعرفة أسرار الخلق، ومعرفة الأشياء على ماهي عليه وما خلقت له، إلى غير ذلك من معاني الفتح الرباني.

وكل مسلم سائر إلى الله له فتحه وأوانه وساعته، ومتى حصل اجتهاده تحقق مراده، وأما طلب شمول العطف فيتمثل في

الأعمال قبولا لا ردا، وفي الذنوب توبة لا بغضا، وفي المعرفة حقيقة لا ادعاءً، وفي الرزق بركة لا محقا، وفي العلم فتحا لا غلقا، وأما طلب النجاة من كل الشرور فالمراد منه:

النجاة من الشرور التي في حقيقتها شرور، لا الأشياء التى يراها السالك شرا وهي خير، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

ومن أعظم الشرور التي تتطلب النجاة: شرور النفس علو واستكبارا، وشرور القلب مرضاً وسقما، وشرور الفهم سقما وبلادة، وشرور الأخلاق فساداً ودناءة، وشرور المعاملة رياءً ونفاقا، وشرور الزمان فتنة وغثاءً، وشرور القرناء تزيينا وإملاءً، وشر الشياطين معصية وإغواءً، وغير ذلك، فاللهم اهدنا رشدنا، وقنا شر أنفسنا يارب العالمين

٤٣- صل حبال الود منك بلا انقطاع

وافتح اللهم أقفال الصدورِ

وفي البيت السابق طلب وصل حبال وده سبحانه، وود أهله وأحبابه، وهو القائل سبحانه: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)**[١]

والود: أصله وتد، من الوتد الذي يقوي جوانب الخيمة، وهو كذلك وتد يقوي روابط المودة والصلة.

وحبال الود: هي المتدلاة منه سبحانه لعباده، ولولا أن الله مدها لما تناولها العباد، فالود منه سابق ومن العباد

(١) سورة مريم آية ٩٦

لاحق، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[1] والمؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من ناصر الله ورسوله، وفي المقابل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2]

ولما كانت حبال المودة قد يصيبها الوهن والتآكل، كان طلب سلامتها وعدم انقطاعها مطلوبا حتما، والمريد الصادق لا يقطع حبال وده مع ربه، ولا حبال وده مع أهل معرفته، فأما حبال وده مع ربه: فإن رخيت بالبعد والغفلة شدت بالذكر والتوبة، وإن وهنت بالجفاء والتولي قويت بالتخلي والتحلي، وأما حبال الود مع اهل معرفته: فينبغي أن تقوى برباط الوصل الجامع، قال أحد الحكماء: "لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قالوا له وكيف ذلك؟ قال إن رخوها شددتها، وإن شدوها رخوتها" وهكذا المريد مع شيخه ومع أهل معرفته، يحرص دائما على تقوية حبال الوصل والود، فإن انقطاعها سبب الضياع والهلاك، كالغريق الذي دلي إليه حبل النجاة، فإن تعلق به فقد نجا، وإن فرط فيه فقد هلك .

وانقطاع حبل الود معناه: رجوع المريد القهقرى، وترديه في غياهب النفس.

---

(١) سورة التوبة آية ١١٨

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢

والمريد الصادق يتفقد حبل نجاته دائما، فان رأى فيه الوهن قواه، وإلا طلب حبلا أقوى، يحيا بحياته ويبقى ببقائه.

ولا تزال الحبال قوية بين المريد وشيخه مالم يعص الله، غير أن المربي الكامل لم يكن بالذي يترك مريده غارقا في بحر الذنوب، بل يجتذبه ويدلي إليه حبل النجاة، ويعالجه في سره ويدعوه إلى رحاب الله، ولا يزال بساحة ربه ساجدا حتى يقبل المريد فيدخل به على ربه، والله ينظر إلى أقوام كفاحا، وينظر إلى اقوم من قلوب أقوام.

والدعوة الثانية: طلب فتح أقفال الصدور، وأقفال القلوب ليست من خارجها، قال الله تعالى: **(أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)** [١]أي: من مادتها، ومفاتحها بيد الله، ويمكن فتحها إذاً ما صدق العبد في التجاءه وإرادته.

وقد تكون الأقفال ذنوبا يرتكبها العبد فتغلق الأبواب، **(كَلَّا بَلْ رانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)**[٢]

وقد تكون انشغالاً بالفاني عن الباقي فتضيق الرحاب، وقد تكون نسياناً للذكر فيتيه عن الصواب، **(نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا)**[٣]

وقد تكون اختلالاً في الذوق فينكر الطيب المستطاب.

---

(١) سورة محمد آية ٢٤

(٢) سورة المطففين آية ١٤

(٣) سورة الفرقان آية ١٨

والمريد يملك مفتاح قلبه، وقد يسقط منه سهوا وعمدا، والصادق في السير من إذا سقط منه التقطه وأصلح سنه بمزيل الران، وغسله بماء التوبة، وعاود وضعه في الغلق فاتحا باسم الله، فما يبرح إلا وقد فتح قلبه وعادت نضارته، فاللهم لا تقفل قلوبنا بذنوبنا ولا تسقط مفاتحها من أيدينا، واجعلها مفتوحة للتلقي والترقي يارب العالمين.

٤٤- وارض رب عن الهداة الطاهرين
كــــلِّ صــــديــــقٍ ودلالٍ خــبـيــرِ

والدعاء السابق يشمل بأصحاب صفاتٍ خمس، وهم كالتالى:

أولاً: الهداة، والهداة في الأمة مصابيح الهدى، ينيرون لها الطريق، ويدفعون عنها الآفات، ويوصونها بالصالحات، فرغوا أنفسهم لله، وانشغلوا برضاه، ودلوا عباد الله على الله، فلا أقل من الدعاء لهم بمزيد الرضوان والقبول.

ثانياً: الطاهرون، وهم قوم طهرهم الله من العيوب، ونقاهم من الذنوب، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قوم اغتسلوا الغسل الأبدي، وتطيبوا بالعطر السرمدي، وشربوا الصفاء القدسي، ما اشتهت أنفسهم إلى معصية الله، وما انشغلوا بغير الله، وما خطر على قلوبهم سوى الله.

ثالثاً: الصديقون، ويلون الأنبياء في الرتبة، ويتبعونهم في الصحبة، لسانهم في ذكر، وقلوبهم في شكر، بيوتهم بيوت الصالحين، وأبناؤهم خيرة السائرين، وأخلاقهم أخلاق

النبيين، (**مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**)[1]

رابعاً: الدالون عليه، وأهل الدلالة هم أهل الحسنى وزيادة، لم يكتفوا بنجاة أنفسهم فنجوا غيرهم، واللّه إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، (**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**)[2]

خامساً: الخبير، وأهل الخبرة مجازون مجتازون، خبروا السير فدلوا عليه، وعرفوا الحق ووصلوا إليه، من وقع على الخبير اهتدى، ومن أحبه ارتقى، ومن تبعه فقد فاز، فاللهم ارض عن أولئك القوم الهداة، الطاهرين، الصديقين، الدالين عليك، وصل حبلنا بحبلك وحبلهم، ولا تقطعنا عنك، ولا تردنا عن بابك يارب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة الأحزاب آية ٢٣

(٢) سورة يونس آية ٦٢

المجلس الأربعون: مجلس الختم والصلاة على النبي صلى اللّٰه عليه وآله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه، قال الناظم غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين.

٤٥- صـل مـولانـا عـلـى خـيـر الـبـرايـا
مـصـدر الـخـيـرات والآل الـطـهـور

٤٦- مـا تـلا الـقـرآن تـالٍ أو دراهُ
مـن قـديـم الـدهـر أو بـاقـي الـعـصـورِ

وهذا مجلس الختم وتمام الأربعين، ختم الله لنا بما ختم به لعباده الصالحين، وفيه الختم بالصلاة على رسول الله وآله، وكما بدء النظم بها ختم، رجاء بركتها وقبول ما نظم، والله تعالى أكرم من أن يقبلهما ويرد ما بينهما.

وتأتي الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقب الحديث عن المربي الكامل لما بينهما من علاقة وطيدة، فإن الصلاة على رسول الله تنوب عن المربي الكامل وتقوم بعمله، ولذلك قالوا: إن السر في كون الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيخ من لا شيخ له: أنها تقوم مقام الشيخ المربي.

ذلك أن العبد إذا صلى على النبي مرة صلى الله عليه عشرا، فصلاة تطهره، وصلاة ترقيه، وصلاة تخليه، وصلاة تحليه،

وصلاة تنوره، وصلاة تجليه، وصلاة تطعمه، وصلاة تسقيه، وصلاة تحفظه، وصلاة تأويه.

ولما كانت صيغ الصلاة غير مقصورة على الوارد جيئ بهذه الصيغة التي بين أيدينا (صل مولانا على خير البرايا، مصدر الخيرات، والآل الطهور، ما تلا القرآن تال أو دراه، من قديم الدهر أو باقي العصورِ)والصيغة السابقة تشير إلى عدة أمور:

أولها: أنه لما كان المصلى عاجزا عن الصلاة بنفسه، وجاهلا بكنه الصلاة على رسوله، وأدنى رتبة من المصلَى عليه، وجاهلاً بقدر النبي صلى الله عليه وآله، طلب من صاحب الرحمة ومالكها، العارف بقدر نبينه أن يصلي عليه، وفي الصحيحين من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه **قال "قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: "فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ "**[1]

فجاء الأمر للتعليم، ولو تكرر السؤال لتكررت الصيغ

ثانيها: أنه تجوز الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصيغ الواردة وغيرها، خلافا لمن قصرها على الصيغة الإبراهيمية.

(١) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رقم ٦٣٥٧ وصحيح مسلم كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد رقم ٤٠٦

والمتأمل في صحيح السنة يجد صيغا أخرى في الصلاة عليه وآله، مما لا يسع المقام لذكرها.

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله جائزة بالصيغ الأخرى، وأنه لا يتوقف فيها مع النصوص، وأن من رزقه الله تعالى بيانا فأبان بالألفاظ الفصيحة المبانى، الصريحة المعانى، ما يعرب عن كمال شرفه صلى الله عليه وسلم وعظيم حرمته فله ذلك.

ثالثها: أن الصلاة على النبي ينبغي أن تكون مقرونة بالصلاة على آله الكرام، لعموم الأمر بها في جميع الصيغ الواردة في ذلك.

وفي دخول الصحابة رضي الله عنهم ضمن صيغ الصلاة عليه خلاف، والراجح عدم دخولهم فيها.

رابعها: جواز قول المصلى على رسول الله: اللهم صل عليه بعدد كذا وكذا، أو بمثل الصيغة السابقة (ما تلا القرآن تال أو دراه).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "هذا الإمامُ الشافعي – أعلى الله درجته– وهو من أكثر الناس تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم – قال في خطبة كتابه الذي هو عمدة أهل مذهبه: اللهم صلِّ على محمد، إلى آخر ما أدّاه إليه اجتهاده وهو قوله: كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وكأنه استنبط ذلك من الحديث الصحيح الذي فيه (سبحان الله عدد خلقه)، وقد عقد القاضي عياض بابا في صفة الصلاة على النبي صلى

الله عليه وسلم في كتاب " الشفاء " ، ونقل فيه آثارا مرفوعة عن جماعة من الصحابة والتابعين " انتهى.[1]

خامسها : تخصيص الصلاة على النبي بعدد التالين للكتاب وعدد المرات: إشارة إلى الصلة الوطيدة بين القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، وهي رسالة إلى المريد الصادق مفادها: الجمع بينهما في أوراده، فلا يقتصر على الصلاة على النبي، ولا يكتفي بتلاوة الكتاب العلي .

سادسها : عطف الدراية على التلاوة في الصيغة السابقة إشارة إلى أهمية التدبر مع التلاوة، وقد قرره كثير من أهل التربية والتزكية، وجعلوا للمريد وردا من التدبر، إلى جانب التلاوة والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ومن اللطائف التي ألمح إليها النظم أن علوم القوم ومعارفهم من جنس علوم القرآن التي تحتاج إلى دراية وتدبر وإصغاء وتفكر.

سابعها : في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله بعدد مرات التلاوة من قديم الدهر أو باقي العصور دلالة على أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله قديمة قدم الموصوف بالقدم، وتأكيد على أن القرآن كلام الله قديم غير مخلق.

وقد ورد آن الله تعالى قرأ القرآن قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، فلما سمعته الملائكة قالت: طوبى لأمة ينزل عليهم هذا،

---

(1) أنظر شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي ص ١٩٦

وطوبى لقلوب تحمل هذا، وطوبى لألسنة تنطق بهذا.

وفي الختام: وبعد تلكم الرحلة الماتعة، والتي قضيناها في صحبة المربي الكامل، لا يسعني إلا التوجه إلى الله تعالى، متوسلا برسوله الكريم، طالبا منه العفو عما بدر من زلات، وسائله القبول والتوفيق فيما هو آت، مستحضرا قول البوصيري رحمه الله.

يَـا نَـفْـسُ لاَ تَـقْـنَـطِـي مِـنْ زَلَّـةٍ عَظُمَتْ

إِنَّ الـكَـبَـائِـرَ فِـي الـغُـفْـرَانِ كَـالـلَّـمَـمِ

لَـعَـلَّ رَحْـمَـةَ رَبِّـي حِـيـنَ يَـقْـسِـمُـهَـا

تَـأْتِـي عَلَـى حَسَـبِ العِصْـيَانِ فِي الْقِسَمِ

يَـا رَبِّ وَاجْـعَـلْ رَجَـائِـي غَـيْـرَ مُنْعَكِسٍ

لَـدَيْـكَ وَاجْـعَـلْ حِسَـابِـي غَـيْـرَ مُـنْـخَـرِمِ

وَالْـطُـفْ بِـعَـبْـدِكَ فِـي الـدَّارَيْـنِ إِنَّ لَـهُ

صَـبْـرًا مَـتَـى تَـدْعُـهُ الأَهْـوَالُ يَـنْـهَـزِمِ

وَأْذَنْ لِـسُـحْـبِ صَـلاَةٍ مِـنْـكَ دَائِـمَـةً

عَـلَـى الـنَّـبِـيِّ بِـمُـنْـهَـلٍّ وَمُـنْـسَـجِـمِ

مَـا رَنَّـحَـتْ عَـذَبَـاتِ الْـبَـانِ رِيـحُ صَبًا

وَأَطْـرَبَ الْعِيسَ حَـادِي الْعِيسِ بِالنَّغَمِ

ثُــمَّ الــرِّضَــا عَــنْ أَبِـــي بَـكْـرٍ وَعَــنْ عُـمَـرٍ
وعَــنْ عَـلِـيٍّ وَعَــنْ عُـثْـمَـانَ ذي الْـكَـرَمِ
وَالآلِ وَالـصَّـحْـبِ ثُـمَّ التَـابِـعِـيَـنَ فَهُمْ
أَهْــلُ الـتُّـقَـى وَالـنَّـقَـا وَالـحِـلْـمُ وَالْـكَـرَمِ

وندعوه قائلين:

اللهم امنن علينا برضوانك، واشملنا بإحسانك، واغفر لنا والمسلمين أجمعين.

اللهم قر عين رسولك بنا، واجزه عنا خير ما جازيت نبيا عن أمته، ورسولا عن أهل ملته، اللهم آته الوسيلة والفضيلة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، اللهم اجز عنا مشايخنا ووالدينا، وأصحاب الحقوق علينا ما أنت أهله، يارب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وآله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نموذج من خطب التزكية

والآن، وبعد تلكم الرحلة المباركة التي عشناها طيلة أربعين مجلساً في محاولة للتعرف على المربي الكامل، فلنتعرف على بعض جهود تلكم النخبة العلية والصفوة المرضية، من خلال نموذج من خطب التزكية والتربية، للشيخ المربي مولانا الإمام العارف بالله سيدي مصطفى البحياوي ـ حفظه الله ـ[1] القائم بأمر التزكية في الأمة، من خلال خطبة جامعة لمعاني التزكية، ولا أكون مبالغاً إن قلت: إنها جمعت فأوعت، وقد أصابت المحز وطبقت المفصل، وبلغت المرمى وحققت الهدف، والآن أتركك أخي القارئ تعيش مع هذه الخطبة الجامعة، فدونكم خطبة الإمام.

(تزكية النفس، مقامها، وكيفية تحصينها، إنطلاقاً من قوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا)

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله، **(أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّه حَقَّ تُقَاته وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ**

---

(١) ألقى هذا الخطبة بمسجد الإمام الشاطبي الأندلسي رحمه الله، بمدينة طنجة بعنوان « تزكية النفس، مقامها، وكيفية تحصينها، إنطلاقاً من قوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا) الجمعة الموافق: ١٥شعبان ١٤٣٨ هـ، ١٢ مايو ٢٠١٧م، وتم نشرها على اليوتيوب في ١٤ مايو ٢٠١٧م

اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمدرسول اللهﷺ وعلى آله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، نعوذ بالله من غضبه وعقابه.

معاشر الأحباء الفضلاء، حديثنا مستمرٌ في الجوامع الرافعة والموانع القاطعة، في ظلال شهر نفحات رفع الأعمال، واطلاع الله الكبير المتعال، وتعرض الأكياس الموفقين لمزيد من الإقبال على الطاعات بما ترتقي به الأحوال، اللهم انفعنا وارفعنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وبارك لنا في شعبان وبلغنا رمضان بغاية الرضا والرضوان يا رحيم يا رحمن.

معشر الأحبة: لا ارتقاء للأحوال ولا لأعمال، الإنسان لا يرتقي حالاً ولا عملاً ولا مقالاً إلا بشيئين اثنين هما خلاصة المقاصد من إنزال وإرسال.

أولهما: المعرفة، المعرفة، الجهل لا يرقي، ولا يرفع، ولا ينقي، الجهل ظلمة، كدر، دنس، رجس.

والثاني: التحقق بكمال الصفة بمقتضى المعرفة، وأجل المعارف معرفة الأعـرف جل جلاله، معرفة الله بجلاله وجماله، خالقاً ربا، إلهاً مستحقاً لأن يفرد، بما أنه المفرد بالمدد خلقاً ورزقاً وتدبيراً وعتقا، ومعرفة السبيل الموصل إليه: من أين تمر إليه؟ ﴿**فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا**﴾ إفتح الطريق إليه، السبيلُ المعرف به، ومعرفة مراده ماذا يريد من خطابه هذا الكتاب المنزل، ومعرفة النموذج الذي جلاه الحق وكمله وجمله، محمد بن عبد الله عليه أزكى صلوات الله، ليكون المنارة الجديرة بالاقتداء والاقتفاء والاتباع، الذي من لم يسر خلفه فلا وصول له.

ومـن البصـائـر الحقيقة بـأن تعـرف: البصـيـرة المتعلقة بالجواب عن سؤالين مقترنين متلازمين، بم بعث النبي؟ ولماذا؟ نبيك بعث إليك بأي شيئ؟ هل يريد شيئاً منك بهذا الإرسال والإنـزال؟ أم ليس لنبينا مقصد، جاء ومرّ كما جاء؟ مقاصد البعثة، ثم لماذا بعث بما بعث به؟ غاية ما جاء له صلى الله عليه وآله من الجلي في بصائر الذكر ـ للمتدبر ببادئ الرأي ـ أن نبينا ﷺ بعث بالهدى ودين الحق.

والجواب عن سؤال بماذا بعث نبيك؟ بعث بشيئين: الهدى بصريح النص، ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ**﴾

والهدى الشريعة الهادية بأحكامها المؤصلة في كل الأبواب، والدين الحق: العقيدة الصافية، المعتقد الصدق، وبعثته ﷺ بهذين الأمرين لم؟ لماذا بعث بهذين؟ لمهمة عظمى متمثلة في التزكية، تزكية من أرسل إليهم ممن استجاب وأناب، وذلك صريح في قوله تعالى (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِه وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**).

ولذلك جاءت المنة بهذه المقاصد من البعثة السنية في قوله تعالى (**لَقَدْ مَنَّ اللَّه عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**) يعني أعظم العطية لهم، منّ عليك: أعطاك عطية بلا حدود (**لَقَدْ مَنَّ اللَّه عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ**) أكرمهم أيما إكرام، (**إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ**) يقرب الهداية لهم بحاله، بمقاله، بسيرته، بسنته.

وقد صح عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله مبيناً الغاية والمقصد والغرض من إرساله للناس في قوله "**إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**" وفي رواية "صالح الأعمال" وفي رواية "حسن الخلق" بل إن ربنا تبارك وتعالى علق الفلاح بهذه التزكية النبوية، تزكية الأنفس، وأكد ذلك بأبلغ المؤكدات، قسماً بآيات الله في الآفاق، وآياته في الأنفس، يقول تعالى (**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ**

وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ) جواباً القسم الطويل بهذه الآيات المزدوجة المتقابلة، المرئية والمطوية، **(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)** الشمس مرئية، الظلام مرئي، وهذه التقابلاتٌ من أرض وسماء، وآيات مطوية، تحتاج إلى عمق تأمل وتدبرٍ في الأنفس **(وَفِي أَنفُسِكُمْ)** أي آيات أفلا تبصرونها، **(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)** في إشارة قوية لا تحتاج إلى تأويل ولا إلى بسط، إلى أنه لا تتصور نجاة لأحد، ولا يتوقع فوز بتاتاً إلا بالتزكية، **(قَدْ أَفْلَحَ)** كأن ربنا تعالى يقول:

وحق هذه الآيات، وعظمة هذه الآيات الشواهد فوقية وتحتية، نفسية وآفاقية، أن الفلاح نصيب المتزكي وأن الخيب والخسار والاندحار والانحدار والانكسار والخسار من نصيب من دسى نفسه **(قَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)** أخفى فضائلها، يدسه في التراب، دسس ودسى بمعنى واحد في كلام العرب، دسى ودسس بالغ في إخفاء نفسه بالظلمة، بركام التراب، بما ران عليها من أكدار الشهوات، والانحطاط إلى الحطام والفتات، **(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)**

إذن فقد بعث نبينا الخاتم ﷺ وعلى آله ليزكينا، ليزكي أمته بالمكارم، وليست إذن هذه التزكية من قبيل النوافل، إن شئت تزكيت وإن شئت تخليت عن هذه التزكية، أبداً، ليست أمراً كمالياً أو تطوعياً أو زائداً، بل هي من صميم مقاصد وجودك

وخدمتك، مطلب ضروري لابد منه، مصيري محوري.

خلاصة القسم: أن خلاصنا متوقف على تزكيتنا، وأن الخيبة والخسار نصيب من فاتته فرصة التزكية في زمنه، في العمر الذي أتيح له.

ومن عظيم أمر التزكية أن ربنا تبارك وتعالى في سورة الفلاح سورة المؤمنون، (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**) في صدرها حديث عن الفلاح وأسبابه، ذكر بالنص أن فعل التزكية هو في الحقيقة قنطرة من قناطر النجاة، بل هو من أعظمها، فقال تعالى (**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**) والسورة مكية ولم تفترض بعد زكاة ببيان أنصبتها، وشأن الكتاب حين يتحدث عن الزكاة المالية أن يقول: آتوا الزكاة وأعطوا، بينما هنا للزكاة فاعلون.

وفعل الزكاة هو التلبس بها، القيام بها، التحقق بما تكون به الزكاة أو فعل الطاعات لغاية زكاة النفس، فتكون اللام في قوله تعالى: (**لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**) ليست للتقوية كما أعربها المعربون، بل للأجلية أي الغرضية، أي يفعلون ما يفعلون لغرض تزكية أنفسهم، ومن ثم جعلت في صدر سورة الفلاح، التي هي سورة زكاة الأنفس، بيان أن تزكية الأنفس من أسباب وراثة الفردوس الأعلى، فقال تعالى في خاتمة الآي العشر من سورتها (**أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) فلا وراثة للفردوس من غير سبيل الزكاة،

لذلك صح عن سيدنا رسول الله ﷺ فيما أخرجه الطبراني وغيره "أن ربنا حين خلق الجنة وزينها بصنوف النعيم قال لها: إنطقي يا جنة، تكلمي، فقالت له (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**) فقال وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل، والبخل صنوف، شح بالزكاة أولاً أن تبخل على نفسك بتزكيتها.

وقد أخبرنا ربنا تبارك وتعالى في خاتمة المسبحات، في مطلع سورة الفلاح ثم في خاتمة سورة الأعلى، أن هذه الغاية التي هي تزكية النفس الضرورية عريقة النسب، ليست وحياً مستحدثاً، ليست خاصةً برسالتنا، بل هي من الوحي القديم.

ورسائل الله كلها تواترت لبيان هذا الغرض، ولكنها أخذت النصيب الأوفى في رسالة المصطفى صلى الله عليه وعلى آله، قال تعالى (**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّه فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هذَا** الذي ذكر من تقرير أن الفلاح من شأن المتزكي، إن هذا الذي قرر من هذه الحقيقة موجود في الصحف القديمة الأول، صحف إبراهيم رسائل الخليل وموسى، والاكتفاء برسالة الخليل والكليم الجليل، والآية تقرر تزكية النفس، وتوقف الفلاح عليها حقيقة محكمة في كل رسائل الله من غير استثناء، تضمنتها الصحف والكتب الإلهية على سواء، على حد سواء، فهذا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم يعرض

هذه المكرمة التزكية على طاغية مصر وفرعونها، ليتخلى عن ادعائه وعدوانه، يتخلى عن ادعائه واعتدائه، إدعائه الربوبية، واعتدائه على الطائفة المؤمنة من بني إسرائيل، يقول له موسى (**هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى**) ـ إستقم إستقم ـ (**هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى**) هل لك؟ هل ترغب في أن تتزكى، معنى تتزكى من هذه الظلمة، والرجل لفوق ويدعي الربوبية، يقول أنا ربكم الأعلى، هل لك إلى أن تتطهر وتتخلى من هذه المصائب التي ألمت بفؤادك فأنزلتك إلى هذا المستوى من الادعاء والوهم، (**وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ**) أدلك على إله الحق لتخشى وتخاف من إلهك الحق المبين.

إن تزكية الإنسان لنفسه نوعان كما هو صريح القرآن، تزكية بالفعل والمجاهدة وهي المطلوبة المحمودة، وإليها قصد بقول الله (قد أفلح من زكاها) وتزكية أخرى لفظية هي مشاهدة الإنسان لنفسه بأنه متزكي متطهر وكامل.

وهذا الإخبار عن زكاة النفس وهي زكاة مذمومة، لأنها مدح للنفس تفتح باب الاغترار والاستكبار، وهو محط النهي في قوله تعالى (**فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**) إذ سوء الظن بالنفس وعدم الرضا عنها هو دأب الصالحين، تقرأ فى القرآن (**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي**) (**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي**) خصوصاً إذا جعلناها من كلام يوسف وقد صححه بعض أهل العلم بالتفسير، ما أبرئ نفسي، لولا عصمة

الله، لقد همت به وهم بها لولا، ما أبرئ نفسي إن النفس، معنى لا أشهد ببراءتها وأن الزكاة من طينتها، وأنني باقتداري وبقوتي المستقلة حصلت على هذا المقام من العصمة، لأمارة إلا ما رحم ربي.

ولذلك نجد في الكتاب نسبة التزكية مرة إلى الله جل وعلا، ومرة إلى العبد، إلى الله باعتباره هو المزكي، لولا بعثة نبينا معرفاً لنا بعيوب النفس، ولولا نصبه هذا المثال للاقتداء، ولولا إلهام الله الإنسان بالمتاب، ولولا أنه غرس في نفسه أموراً من أنوار الفطرة تجعله يستيقظ للمذكرات وينفعل للآيات لما حصل شيئاً من هذه التزكية.

ومنسوبة للعبد باعتباره الكاسب، محل هذه التزكية والمتهمم لها، والمخاطب بشأنها أمراً، وتنسب إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله (**يزكيهم**) هو باعتباره الذي شرح رسالة التزكية وقاد الأمة إلى سبيلها، وتلطف بهم رفقاً وعتقاً وارتقاءً في معارج هذه التزكية إذا بلغوا كمالاً، فكان هذا صديق، وهذا فاروق، وهذا أعلم الأمة، وهذا أكملها، وهذا سيف الله، وهذا أسد الله، نماذج، نجوم من الكمال والارتقاء بزكاة رسولنا صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

ونتساءل بعد كل هذا: ما المراد بالتزكية؟ وما السبيل إلى تحصيلها إن هذه التزكية مطلوبة منا؟

لنقول في الجواب: أخذاً من لغة الكتاب: كلمة تزكية ترجع إلى جذر لغوي في الكتاب، زكا الشيئ: نما، زكا الحب: نما، وزكا النبات: كثرت بركته وعطاؤه، ولا يقال زكا إلا في الخير، نما في الخير والصلاح، وزكاه صيره كذلك، جعله زكيا، وزكى الشيئ من كذا خلصه منه تطهيرا، فهما إذن معنيين أو معنيان، فمسألة قضية الزكاة والتزكية إحداهما ترجع للنماء، والأخرى ترجع للتطهير، وهما متلازمان، فالشيئ لا ينمو مالم يتطهر من ضد الأشياء التي تمنع زكاته ونموه، إذن لابد من التطهير في التزكية، ولذلك قال أهل العلم بها في فقهها: إن التزكية تتطلب أمرين: تخلية وتحلية، أو قل إمتثال واعتزال، ولا يمكن للانسان أن يتحلى جمالاً إلا إذا تخلى عن ضد الجمال من قبح وفساد، إذن التحلية بالمكارم والتخلية عن المفاسد والمآثم هما معقدا التزكية عند من ألقى السمع وهو شهيد.

ومفتاح الفهم في هذه المسألة جملة تذييل زجملة تفصيل، فجملة التذييل في آية التزكية في قوله تعالى (**فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**) وجملة التفصيل في آية القسم على التزكية في قوله تعالى (**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا**)، بالجملة الأولى (**هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**) نفهم أن الأزكى هو الأتقى، وأنه لا زكاة بغير اتقاء للمحارم محارم الله، وأن العبد المؤمن له من نصيب التزكية بقدر ما معه من تقوى الله المزكي، فمن لا تقوى معه لا زكاة عنده.

ومن صدر جملة التفصيل (**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**) التي تصرح بأن ربنا تبارك وتعالى ركز في النفس، النفس المكلفة قوى فطرية، سوى النفس بقوى فطرية واستعدادات مذدوجة وقدرات متقابلة، مرجعها إلى قدرتين اثنتين، تقف كل منهما في وجه الأخرى، هاتان القدرتان هما: قدرة دافعة، وقدرة رادعة، فالدافعة هي القوى التي تجدها في نفسك تبعثك إلى الفجور بعثاً تحثك على الاختراق والاقتحام، تقول لك: إفعل، وافق الهوى، زد، وهي سر عجلتك، وبالتالي فشلك، (**خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ**) متعجل لاقتناص شهوته، لموافقة ميوله، لنيل العاجل.

وقدرة أخرى هي التي تسمى بالتقوى، ألهمها الفجور: رسخ فيها، الإلهام هنا: إلهام الخلق، جعل فيها في أصول نوازعها هذين النازعين، نزوع إلى الفجور، ونزوع إلى ضده بالتقوى، وفجور دفاع مع الأهواء، واسترسال مع ميول النفس الردية، واستعداد لانتهاك المحارم والانهماك فيها، والتقوى بضد ذلك هي التحرز غاية، والتوقي إلى النهاية من آثار المحارم والجرائم والمآثم.

البداية إذن إذا كانت بالتخلية فإن حجر الزاوية فيها اتقاء فجور النفس وحملها على أن تتحصن بتقواها من فجورها، أي أن تلجم ذلكم الفجور ممثلا في اندفاعها وانجرافها، وسر فجور النفس المصدر به في قوله تعالى (**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا**)

فقدمه لأنه الغالب على التقوى، هذا الفجور بيان لشدة هذا الفجور، وذات ما صرح به قوله تعالى في سورة القيامة (**بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ**) الإنسان هكذا مجرداً عن حلية، ليس المؤمن، أصل انحرافه، **بل يريد الإنسان ليفجر أمامه**، يصدق على الكافر والضال والمنحرف، وغير ذلك ممن لم يتحى بحلية التزكية، يريد الإنسان ليفجر أمامه، بمعنى: يريد أن ينتهز كل فرصة لتلبية رغبات نفسه، فإراداته متمحضة للفجور ابتداءً، بل يريد ذلك فيما بقي بينه وبين الموت ولو كان بشهور، إرادته متمحصة ومتمحضة للفجور ولو كان بينه وبين القبر شهور، متى ما أتيحت له الفرصة انتهزها لموافقة هوى النفس، الله العارف بالنفس الخبير بخلفياتها وحناياها يقول ذلك.

وختمت آية القيامة يريد الإنسان ليفجر أمامه بقوله في نهايتها بعد الآية المعترضة (**كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ**) وبهذا الختم إلتقت بآية التزكية في خاتمتها (**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى**) حيث يقول (**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**) بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة، (**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**)،آيتان خاتمتان لآيتي التزكية، منبهتان على أمر عظيم، وهو أن حب العاجلة: أي إيثار اللذات إيثار الدنيا وشهواتها ، زين للناس حب الشهوات من، من، الموصوفات، أصول الملذات، إيثار ذلك على الآخرة هو سند الفجور ودعامته، هو مدد الفجور، هذا يقتضي نسيان

الآخـرة والغفلة عن المقصد من الخلق والغاية من الوجود والاسترسال في تيه السكرات، سكرات الشهوات إلى أن يفاجأ العبد بالموت فيقال له **(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ)**.

ومقاصد التكليف الشريعة كلها ماذا كلفنا غاية التكليف، والقصد بالتكليف صرف الخلق عن داعيات النفس نحو الحق، أي تهذيب دواعي النفس لتأهيلها لمقام القدس، غاية التكليف، لا سبيل لـردع النفس عن فجورها ولفها عن التتمرد على محارم ربها إلا بتنمية شعور التقوى، إستعداداً فيها وتنمية ملكة التقوى لديها.

ورأس التقوى مخافة الله جل جلاله، بمعرفة جلاله وتذكر وعيده وترقب جزاءه ولقاءه، قال تعالى **(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى)** فجمع بينهما، لن يتأتى لك أن تلجم نفسك بالتقوى إلا إذا كان عندك خشية الله مقامه العلي، خشية الله، خاف مقام ربه، لن يتأتى زجر النفس عن هواها إلا بسياط الجلال والهيبة، بسياط الخوف من مقام الله، ومقام الله تعالى، خاف مقام ربه يعني شيئين:

أولهما مقام اطلاعه على عبده ورؤيته إياه في تقلبه ومثواه بعقيدة **(وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)** **(وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ)** **(يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ)** منتهى الصلابة **أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ**

منتهى البعد يأت بها الله، يعلمها ويأت بها، فالكل جلي إذن تحت بصر الله وعلمه علم العبد بهذا الإطلاع، أي باطلاع الله إليه، يبعث فيه أمرين مهمين ينبغي تنميتهما خشيته: الخوف من مؤاخذته، وثانياً الحياء منه، لأنه صاحب نعمتك ومصدر الإحسان إليك، وأنت محوط بكرمه، فكيف تكون على مخالفته، ولا خوف ولا خشية من غير علم أبدا، وقد قال ﷺ **"أنا أعلمكم بالله أولا وأشدكم له خشية "** وهذه الثمرة ثمرة المعرفة، ويقول تعالى(**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**) وسئل سيدنا عبد الله بن مسعود سئل عن العلم ما هو ما العلم؟ قال خشية الله، ففسره بالثمرة، العلم الذي تثمر شجرته خشية الله، والعلم ذاك العلم.

وقد قال الإمام الهلالي في نصيحته:

والعلم ما أورث خشية العليم
فمن خلا عنها فجاهل مليم
لأنه ميراث الأنبياء
ولم يناله غير الأتقياء

هذه المراقبة التي لمقام الله وجلاله التي تورث صاحبها سر الحفظ وسر العصمة في مقام الترك، ترك ما يبغض الله، وفعل ما يحبه، تتناسب مع المعرفة، بقدر ما تنقص المعرفة بالله ينقص الخوف منه، وهكذا إلى أن يختفي الحب فتختفي معه الخشية والخوف قال تعالى (**وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن**

ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّه لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ) اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك.

المعنى الثاني لمقام الله: (**من خاف مقام ربه**) في الآية المتقدمة هو موقف العبد بين يديه يوم القيامة للجزاء، يعني أنه يعلم أنه موقوف بين يديه (**وقفوهم**) وهو المشار إليه بقوله ﷺ فيما صح عنه " **ما منكم من أحد ـ ما يستثني أحدا ـ ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حجاب، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أيسر منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**" اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي.

النبي ﷺ خوف ورجى، خوفك من مقام الله ثم رجاك بفعل الصالحات، إتق النار ولو بشق تمرة، تتصدق بها على الجائع، وكذلك الأعمال المنجيات والمكفرات، إتقوا النار، إتقوا الله قمة، إتقوا النار تليها، إتقوا الأرحام أن تقطعوها، موجبات العذاب، إتقوا الشح لأنه سبب إلى النار، فالتقوى تختلف متعلقاتها، وبالتالي تختلف منازل المتقين بحسب ذلك، يقين العبد إذن بعلم الله المحيط به حالاً، ويقينه بموقفه في العاقبة إليه مآلاً أمران يملآن قلب العبد خوفا وخشية وإجلالا من ربه وحذراً من الآخرة ولقاء ربه، ولسان حاله يقول(**إِنَّا نَخَافُ مِن**

رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّه شَرَّ ذَلكَ الْيَوْم وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا(صدق الله العظيم، اللهم اجعلنا منهم.

ويكسب هذا العلم اليقيني العبد قدرة بالغة، العلم حين ينمو رصيده يقوى، يرسخ في النفس، تزداد أنواره، يكسب العبد قدرة بالغة على كف النفس وإلجامها بلجام التقوى، ومن ليس عنده يقين بالحقيقتين، حقيقة اطلاع الله عليه في الحال، وحقيقة موقفه بين يديه في المآل، ومن ليس عنده علم بالحقيقتين منتهى حاله إلى ما قال الله (**لَا تُطعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذكْرنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**) أغفلنا قلبه عن الذكر فليس في قلبه خوف من الله، ولا في ضميره إيمان بعلمه واطلاعه، ومن ثم فنهايته ومصيره إلى أبشع صور الضياع والتيه، وهو ما عبر عنه بقول الله (فرطا) كان أمره كله، شأنه كله، حياته، أحواله، شئونه، فرطا، وكان أمره فرطا لا اجتماع لأمره، لا انتظام لشأنه، لا سعادة له في حال أو مآل إلا وهما.

اللَّهمَّ إنَّا نعوذُ برضاكَ من سخطكَ وبمعافاتكَ من عقوبتكَ ونعوذُ بكَ منكَ لا نحصي ثَناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ علَى نفسكَ، نستغفرك اللهم ونتوب إليك، نسألك اللهم خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، ونسألك نعيما لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، آمين آمين والحمد لله رب العالمين.

الحمد للّه، الحمد للّه أهل التقوى والمغفرة، أنذر عباده بالآيات المبصرة والزواجر المذكرة، لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد الخائفين وإمام الخاشعين، القائل فيما صح عنه "**أنا أعلمكم باللّه وأشدكم له خشية**" وعلى آله وصحبه الذين هم لربهم يربهون، ومن خشيته مشفقون، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون.

معشر الأحباء: إن الحق تبارك وتعالى أهل لأن يتقى ويخشى، وهو القائل (**وَيُحَذِّرُكُمُ اللّه نَفْسَهُ**) والقائل (**فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**) بل إنه جل وعلا جعل الخوف منة منه، نعمة من أنعمه على عبده المؤمن، كما أنعم عليه بالإيجاد أنعم عليه بالنعم الخاصة العليا، نعمة الإيمان ونعمة الخشية، قال تعالى (**قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّه عَلَيْهِمَا** (أي بهذا الخوف وتلكم الخشية جعل اللّه جل وعلا الخوف منة وعزة للإيمان، بل ودليلاً عليه في قوله تعالى (**فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**).

من شأن المؤمن أن يخاف ويخشى ربه، وربه جل وعلا في مقام الهيبة حقيق بأن يتقى، هو أهل التقوى، أهل لأن يتقى، وأهل لأن يغفر لمن اتقى.

وخوف العبد من ربه كما مضى على قدر معرفته به، وقد صح عن سيدنا رسول اللّه ونكرر فيما أخرجه الشيخان " **واللّه**

إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية) فلا تتصور إذن خشية بغير علم، وقد قال عليه السلام "**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله تبارك تعالى**" أو كما قال ﷺ ثم أن تذكر الجناية، أي: عظم الذنب مقارفة المعاصي وسوء عاقبتها هو من دواعي الخوف وموجباته.

الإنسان حين يريد أن يتوب إلى الله يتوب بباعث مزدوج باعث الخوف من أن يؤاخذه الله بجناياته المتقدمة، وأمل في أن يشمله بعفوه ومغفرته، ويصلح ما بينه وبينه، ويفتح صفحات من أنوار للوصل والفضيلة.

تذكر الجناية من دواعي الخوف وموجباته، ونسيان الذنب بالمقابل، كلياً أو جزئياً من الظلم، بل إنه من أعظم الظلم، قال تعالى (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ**) وتذكر الذنب يعني أن تحدث له توبة، الإنسان إذا تذكر أنه فرط في جنب الله ينبغي أن يستحيي منه فيكف، ولا يمضي مستمرا مكررا، ويغتسل لكمال الاتصال ويتوب، قاطعاً صلته بعهد الانفصال وعهد الكنود وعهد الجحود وعهد الأكدار والظلمات ليستقبل مع الله حالاً أرقى وأعلى، اللهم أعنا على التوبة النصوح.

أهل العصيان العصاة ـ ولو كانوا من أهل الإيمان ـ فهم في

خطر المشيئة، فقد يقابلهم ربهم بالعفو والصفح وله ذلك، وقد يؤاخذهم بما كسبت أيديهم فيحق ذلك، إذن لا ينسوا جناياتهم وذنوبهم وجرائمهم، وأن يظلوا على خوف من ربهم، لغرض أن تتحرك في نفوسهم داعية الإقبال على الله، والإقلاع عن هذه المعاصي التي سماها النبي ﷺ قاذورات " **من ابتلي بشيئ من هذه القاذورات فليستتر**" إسمها القاذورات، وهكذا هي في أنف أهل التقوى والإيمان، في إحساسهم يشمون المعاصي قذرا كما يشم صحيح الحاسة هذه العفونات فيكرهها وينفر منها، هم يرونها كذلك.

ومن مأثورات العارفين في باب الخوف قولهم، إسمعوهم واسمعوا إليهم واستمعوا، فهم منارات الطريق، يقولون: الخوف سياط يسوق الله به عباده إلى رحابه ويقوم به الشاردين عن بابه، وقولهم: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب، أي انتهى أمره، ما خلا القلب من خوف إلا وانتهى أمر صلاحه، وقولهم: إذا حل الخوف في القلب أحرق مواضع الشهوات منها، فيصير المعاصي التي كانت مستلذة عند أصحابها، يصيرها في أذواقهم مكروهة مرذولة ملغاة مطروحة، كما يصير العسل عند من يشتهيه كريهاً وأشبه بالحنظل إذا علم أن فيه سماً قاتلا.

العسل تشتهيه فإذا عرفت أن فيه سماً تكرهه وتلقي به، ويصبح لا قيمة له ولا ثمن، بل تلعنه، إذا علم متناول العسل

وهو يشتهيه أن فيه سماً زعافاً تحول العسل في مذاقه قبل أن يتذوقه إلى أمرَ من الحنظل.

وقول العارفين: الناس على الطريق مالم يزل الخوف عن قلوبهم، فإذا زال الخوف عنهم زلوا عن سواء السبيل.

وقد جمع ربنا تبارك وتعالى لأهل خشيته أمهات الفضائل والمكارم، جمع له الهداية والرحمة والعلم والرضوان من الله أكبر، قال تعالى **(هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)** وقال **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)** وقال **(رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)**.

وقد تعهد سبحانه أن لا يجمع على عبده خوفين، قال ﷺ فيما صح عنه فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي: " **لن أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، فإذا خافني هنا أمنته هناك، وإذا أمنني هنا خوفته هناك**" اللهم اجعلنا من أهل خشيتك.

وقال ﷺ فيما خرجه الإمام الترمذي وصححه " **لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع**" أو كما قال ﷺ.

ومن ثمار الخشية قول أهلها: من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير، ومن خاف عبد ربه، وما خاف عبد ربه إلا فتح له باباً إلى الحكمة والعبرة، وما من مسلم يعمل بذنب إلا أتبعه جنتان، جنة أي وقاية، جنة خوف تدفع ضرره، وجنة رجاء عفو تمحو أثره.

وسمى الحق تبارك وتعالى أهل الخشية بأهل السبق، بقوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**)

وفي الترمذي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سألت النبي مستفسرة عن هؤلاء، أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ يعني ويخافون من جناياتهم، فقال لها ﷺ لا يا ابنة الصديق لا، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، ومع ذلك يخافون أن لا يتقبل منهم (أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ).

اللهم يسرنا لليسرى، واجعلنا من أهل الخشية والذكرى، ولقنا رضوانك في الأولى والأخرى، آمين يا رب العالمين، آت أنفسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، نعوذ بك اللهم أن نزل أو نزل أو نضل أو نضل أو نظلم أو نظلم، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا، وبلغنا مما نرجوه منك آمالنا، إغفر لوالدينا ومشايخنا وارحمهم رحمة واسعة، واغفرلهم ما ضيعوا من حقك، واغفر لنا ما ضيعنا من حقوقهم، اللهم نصرك للمستضعفين من المؤمنين، وعونك للمخلصين من حماة الدين، اللهم من أراد بالإسلام خيرا فوفقه لكل خير،

ومن أراد به سوى ذلك فعرضه للمهالك واكفناه بما شئت يا عزيز يا مقتدر، ووفق اللهم العاهل الكريم، وسدد خطاه على الصراط المستقيم، وهيئ له بطانة خير لا تريم، وقه بطانة أهل الشر والفساد، واجعله رحمة على البلاد والعباد، يا من له الأولى والآخرة وإليه المعاد، (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[1]

(1) ومن لطائف الختم بخطبة الشيخ السابقة أن خطبة الجمعة تعقبها الصلاة، وهذه الخطبة جاءت في نهاية الكتاب، فهي تهيئة لصلاة مفروضة وهي صلة العبد بربه، وخاصة أنها تناولت معاني التزكية القائمة على دعامتى التخلية والتحلية، فهي تمثل الجانب النظري الذي يحتاج إلى تطبيق عملي، وهذا شأن الكتاب كله، فهو يقدم الصورة النظرية للمربي الكامل والمريد السالك، التي لا تعطي ثمرتها المرجوة مالم تخرج إلى الواقع ثمرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وأختم هنا بكلمة الشيخ المربي حيث جمع كل ذلك بقوله« لو علمتك ولقنتك الحكمة ولكن لم تتزكى بهذا العلم ولم تبدو عليك آثار المعرفة تصفية وزكاة، زكاة عمق، فقد حصل الفشل في المشروع الإصلاحي، ولو أقمنا مؤسسات للتعليم ومؤسسات للحكمة ومؤسسات وجوامع للدرس، ولكن الحصيلة كانت ضئيلة أو قليلة أو منعدمة، يعني لا أثر في أخلاق هؤلاء المنتسبين لعلم ولا لمعرفة ولا لحكمة، دليل اخفاق في المشروع الإصلاحي الكبير» نسأل الله تعالى أن يحققنا بمعارفهم وعلومهم وأن يسيرنا على طريقتهم غير مبدلين ولا مغيرين وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه فيه إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين.

فـهــرس